دفاتر أسطور

عبد الله حنّا

المرشدية في محيطها العلوي وأجواؤها السياسية والاجتماعية (١٩٢٣-١٩٤٦)

المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

المرشدية في محيطها العلوي
وأجواؤها السياسية والاجتماعية
(1946-1923)

المرشدية في محيطها العلوي وأجواؤها السياسية والاجتماعية

(1923-1946)

عبد الله حنّا

المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

الفهرسة في أثناء النشر - إعداد المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

حنّا، عبد الله

المرشدية في محيطها العلوي وأجواؤها السياسية والاجتماعية: (1923-1946)/ عبد الله حنّا.

143 ص.؛ 22 سم. - (سلسلة دفاتر أسطور)

يشتمل على بيليوغرافية (ص.129-132) وفهرس عام.

ISBN 978-614-445-045-1

1. مرشد، سلمان، -1946. 2. الحركات الدينية - سوريا - القرن 20. 3. المرشدية (الشيعة) - سوريا - القرن 20. 4. الإسلام والسياسة - سوريا - القرن 20. 5. سوريا - تاريخ - الاحتلال الفرنسي، 1918-1946. 6. العلوية (الشيعة) - سوريا - القرن 20. أ. العنوان. ب. السلسلة.

297.83095691

العنوان بالإنكليزية

The Murshidiyya Community from within its Alawite Context Political and Social Trends, 1923-1946

by Abdullah Hanna

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن
اتجاهات يتبناها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

الناشر

المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

شارع رقم: 826 منطقة 66
المنطقة الدبلوماسية الدفنة، ص. ب: 10277 الدوحة قطر
هاتف: 00974 44199777 فاكس: 00974 44831651

جادة الجنرال فؤاد شهاب شارع سليم تقلا بناية الصيفي 174
ص. ب: 11 4965 رياض الصلح بيروت 2180 1107 لبنان
هاتف: 00961 1991837 8 فاكس: 00961 1991839
البريد الإلكتروني: beirutoffice@dohainstitute.org
الموقع الإلكتروني: www.dohainstitute.org

© حقوق الطبع والنشر محفوظة للمركز

الطبعة الأولى
بيروت، تموز/ يوليو 2015

المحتويات

مقدمة 7

الفصل الأول: الجبل العلوي في الثلث الأول
من القرن العشرين 13

الفصل الثاني: النهضة العربية في الساحل السوري
في النصف الأول من القرن العشرين........ 41

الفصل الثالث: الحركة المرشدية
في مرحلتها الأولى (1923-1946)........ 83

خاتمة 119

ملحق: نصوص منقولة عن المرشد........ 123

المراجع........ 129

فهرس عام 133

مقدمة

المرشدية حركة دينية، ظهرت في سورية بين بعض العشائر العلوية في عشرينيات القرن العشرين، واستقلت دينيًا عن العلويين بعد أن تحوّلت إلى دين ومذهب روحي يستند إلى «الغيبة». ويؤكد أتباع هذا المذهب على عكس ما هو شائع، أنّ سلمان المرشد لم يدعُ الناس لأن يتّخذوه إلهًا، لكنه إمام بشّر بقيام المهدي المنتظر[1].

تجدر الإشارة هنا إلى الدور غير المباشر لانهيار الدولة العثمانية في عام 1918 التي اضطهد حكامها سكان الجبال العلويين، وأذاقوهم ألوانًا من القهر والاضطهاد، وجدت إحدى تعبيراتها في إيجاد الظروف لبعث فكرة «المهدي المنتظر» بما يتلاءم مع مستوى تفكير الجماعة الحالمة بتحسين أوضاعها وأحوال معيشتها وصون كرامتها. وهذا الأمر في حاجة إلى دراسة متخصصة، تعتمد على باحثين من داخل الحركة، وهم على معرفة دقيقة بعقائدها وتاريخها وفهم آليات عملها.

---

(1) أحمد نهاد السياف، شعاع قبل الفجر: مذكرات أحمد نهاد السياف، تقديم وتحقيق محمد جمال باروت ([د. م.: د. ن.]، 2005).

ما يمكن القول به في رأينا: إنّ الحركة المرشدية هي إحدى تجليات الحلم الدفين لدى الجماهير المضطهدة بعودة المهدي المنتظر الذي هو مثالنا: «سيقيم الدين ويحمل سيف الخضر ويفتح مصر والبلاد العربية ثمّ يتوجه بجيشه العرمرم إلى الهند فينصب نفسه ملكًا عليها»[2]. وكثير من الحركات التي رفعت راية المهدي المنتظر الذي «يملأ الأرض عدلًا بعد أن ملئت جورًا» كانت انعكاسًا لتحركات اجتماعية، اتخذت مظهرًا دينيًا يتلاءم مع مفاهيم من سار وراء الحركة ومستوى تفكيره. واللافت أنّ عباس محمود العقاد أنشأ مقالة في صحيفة الأخبار القاهرية عن حركة سلمان المرشد، واضعًا إيّاها في إطار ما ظهر من ملل ونحل في التاريخ الإسلامي[3].

الواقع أنّ الأديان الأخرى عرفت ظاهرات الملل والنحل، وظهور «المخلّص»، وإحاطته بهالة من القدسية كانت ملاذًا روحيًا أمينًا لمعتنقي تلك الحركات، يساعدهم على تجاوز هموم الحياة وجور الحكام وقساوة الطبيعة.

---

(2) جورج بطرس دكر، سليمان المرشد: مدّعي الألوهية في القرن العشرين (اللاذقية: مطبعة الحداد، 1946)، ص 40. كان الشائع بين الناس ادعاء سليمان المرشد الألوهية التي استخدمت للتحريض عليه في حياته ومماته. ويذكر كاتب هذه الأحرف أنه، وهو ابن أربع عشرة سنة، ذهب مع العشرات من طلاب التجهيز لمشاهدة «الرب سليمان المرشد» مشنوقًا جزاء ادعائه الربوبية. ويقول: لا أزال أذكر، وأنا واقف في الزاوية الشمالية الغربية من ساحة المرجة، ثلاث جثث معلقة على المشانق في وسط المرجة. وانتابني آنذاك شعوران: الأول شعور الرضى بقتل من يدّعي الربوبية، والثاني شعور بالخوف الممتزج بالحزن على مقتل إنسان معلق في الهواء وهو يرتدي ثوبًا أبيض.

(3) المصدر نفسه.

الحديث عن الحركة المرشدية ليس بالأمر السهل لأسباب كثيرة، يأتي في مقدمها عدم وجود وثائق كافية مكتوبة في متناول اليد تحدد طبيعة الحركة وأهدافها. ولم تظهر كتابات بأقلام قادة الحركة إلّا قبل عقد من الزمن. لكن تلك الكتابات على الرغم من أهميتها، لا تكفي لدراسة المرشدية دراسة معمقة. ولا يستطيع التاريخ الشفوي سد الفراغ. ولا يبقى أمام الباحث إلّا المصادر، التي كتبها «الغير»، أي من غير المرشديين. وهي على الرغم من أهميتها، غير كافية لفهم الحركة فهمًا دقيقًا، من دون الرجوع إلى مصادرها وهي قليلة.

يُقدّر عدد المرشديين ما بين ثلاثمئة ألف ونصف مليون شخص. وينتشرون في بعض مناطق العلويين في الحفة والغاب وجبل الحلو (ومنها شين وعوج ومريمين)، وبعض قرى حمص، والبيطارية في أقصى الغوطة الشرقية، وفي منطقة القنيطرة (عين فيت وزعورة والغجر).

مرّت الحركة المرشدية بالمراحل التالية:

- **المرحلة الأولى** (1923-1946) مرحلة التأسيس والسير خلف سلمان المرشد، وهو، ما يمكن أن نطلق عليه، الأب الروحي للحركة.

- **المرحلة الثانية** مرحلة ما بعد المرشد الممتدة بين عامي 1946 و1951، إذ عاشت الحركة ظروفًا صعبة بعد إعدام مريديها أو سجنهم أو نفيهم، وفي مقدمهم أولاد المرشد.

- **المرحلة الثالثة** بدأت مع إعلان مجيب بن سلمان الدعوة

في 25 آب/ أغسطس 1951. فبعد أن أمضى مجيب سنوات نفيه الثلاث التي حكم عليه بها المجلس العدلي الاستثنائي في عام 1946، التحق بالجامعة الأميركية في بيروت، ثمّ قطع دراسته وعاد إلى منطقة الغاب ليطلق في 25 آب/ أغسطس 1951 سرًّا ما يسمّى مرشديًا الدعوة إلى «المعرفة الجديدة» للّه. وهو اليوم الذي لا يزال المرشديون يحتفلون به دينيًا في كل عام، ويسمّونه «عيد الفرح بالله»، ويعدّ عيدهم الديني الوحيد[4].

بعد أن اغتال قائد الشرطة العسكرية عبد الحق شحادة مجيب المرشد في 27 تشرين الثاني/ نوفمبر 1952، قاد المرشدية بناء على وصية مجيب شقيقه الأكبر ساجي بوصفه «المعلم والإمام» من بعده[5]. ويبدأ دور ساجي في إمامة «الدعوة» من هذه النقطة، إذ يقوم فعليًا وبطريقة سرية بإعادة تنظيم الدعوة أو الحركة كما يطلق عليها على قاعدة أنّ مجيب «قدس الله ومنجاته». تولّى ساجي إمامة الحركة - الدعوة في بدء دخولها في طور المحنة الكبرى التي بدأت مع قتل مجيب، ورحل في عام 1998، وتمكن من رفع هذه المحنة عنها مبرزًا مهارات تنظيمية وقيادية وسياسية[6]. ورحل في عام 1998 من دون أن يوصي بالإمامة لأحد من بعده.

اللافت ما جاء في كتاب نور المضيء المرشد «أنّ مجيبًا بصفته إمامًا للناس، لم يقم بالثأر [...] بل طلب منا أن نعقد الفرحة

---

(4) محمد جمال باروت، «10 سنوات على رحيل إمام المرشدية،» العرب (قطر)، 28/ 7/ 2008.

(5) المصدر نفسه.

(6) المصدر نفسه.

لمقتله»[7]. ويعدّه المرشديون المخلّص الذي أعطى المعرفة الجديدة عن الله، وحدّثهم عن غيبته وتفصيلاتها[8].

- المرحلة الرابعة مستمرة من دون إمام مع احتفاظ المرشدية بتماسكها وحيويتها بصورة لافتة.

عاش المرشديون، أو بالأصح زعماؤهم، منذ عام 1946، فترات من الاضطهاد والتضييق إلى أن نعمت الحركة المرشدية بالحرية، بعد اعتلاء حافظ الأسد سدة الحكم في عام 1970.

هذه الاستمرارية لحركة نشأت في أوساط فلاحي الجبال بين عدد غير قليل من المسلمين العلويين، ذات دلالات لا يمكن المؤرّخ إغفالها، وهي بحاجة إلى دراسة معمّقة تقع على كاهل مؤرّخي المستقبل.

---

(7) نور المضيء مرشد، لمحات حول المرشدية: ذكريات وشهادات ووثائق (بيروت: نور المضيء مرشد، 2007)، ص 57.

(8) المصدر نفسه.

الفصل الأول

الجبل العلوي في الثلث الأول
من القرن العشرين

الجبل العلوي أو جبال العلويين تسمية تاريخية تعود إلى بداية عشرينيات القرن العشرين. والخرائط قبل هذا التاريخ، كانت تطلق على هذه الجبال اسم جبال النصيرية، نسبة إلى أكثرية سكانها المعروفين بالنصيرية الذين أُطلِق عليهم بعد انهيار الدولة العثمانية في عام 1918 اسم العلويين، وهم عشائر عربية نزحت إلى هذه الجبال. وكانت هذه الجبال تابعة إداريًا إلى ثلاث ولايات عثمانية: لواء اللاذقية التابع لولاية بيروت، وقضاء مصياف التابع للواء حماة التابع بدوره لولاية دمشق، وقضاء جسر الشغور التابع لولاية حلب.

بعد الاحتلال الاستعماري الفرنسي لسورية، ضُمّت هذه المناطق وسُمّيت بلاد العلويين ومركزها اللاذقية. وبعد معاهدة 1936 ونتيجة لقيام الوحدة السورية أُطلق عليها في أواخر ثلاثينيات القرن العشرين اسم محافظة اللاذقية. ومع ظهور التقسيمات الإدارية في عام 1960 تحولت محافظة اللاذقية (القديمة) إلى محافظة اللاذقية الحالية وتتبع لها جبلة والحفة، وأُنشِئت محافظة طرطوس وتتبع لها بانياس وصافيتا، وأُتبع قضاء تلكلخ إلى محافظة حمص، وأُعيد قضاء مصياف إلى محافظة حماة، وقضاء جسر الشغور إلى محافظة حلب ومن ثمّ إلى محافظة إدلب.

حاليًا يطلق بعضهم على هذه المناطق اسم جبال الساحل أو جبال اللاذقية، تجنبًا للاسم الذي يرونه طائفيًا. ودرجت أدبيات الحزب الشيوعي، وهو حزب علماني وطني، على إطلاق اسم

«الجبل العلوي» على هذه المناطق. ولهذا رأينا أن نطلق هذا الاسم عند الحديث عن فترة النصف الأول من القرن العشرين، ليس بهدف تكريس الطائفية بل مراعاة للواقع التاريخي.

أولًا: الوضع الاجتماعي للجبل في مستهل القرن العشرين

نرى أنّ الدراسة التفصيلية الدقيقة لمناطق الساحل السوري، كما وردت في كتاب ولاية بيروت[1]، وكشف تكتلاتها العشائرية ومعرفة بنيتها الاجتماعية، تؤدّي الغرض من هذه الدراسة لمعرفة المحيط الذي نشأت فيه المرشدية.

1- قضاء تلكلخ

المعروف سابقًا بحصن الأكراد. بلغ عدد سكانه في عام 1914 نحو 29701 نسمة، منهم 15000 علوي، و12176 رومًا أرثوذكس، و780 مارونيًا، وأقلية من السنّة (دنادشة وزعبية) كانت مسيطرة على القضاء في العهد العثماني، مع عدد قليل من التركمان ومعظمهم فقراء يعملون في نسج السجاد، وعددهم 500 نسمة.

---

(1) رفيق التميمي ومحمد بهجت، ولاية بيروت، 2 ج في 1 (بيروت: دار لحد خاطر، [1914-1916]). قام المؤلفان بزيارة ميدانية إلى الساحل السوري اللبناني والفلسطيني في قسمه الشمالي على مشارف الحرب العالمية الأولى في عام 1914. قدمت الدراسات الميدانية التي قام بها الباحثان معلومات مهمة، تناولت جوانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية للسكان بطوائفهم ومذاهبهم وعشائرهم وعائلاتهم المختلفة. فالكتاب وثيقة مهمة، تعكس تركيب السكان العرب في الساحل السوري، بأكثريتهم العلوية والأقليات السنّية والمسيحية والإسماعيلية، إضافة إلى أقلية تركمانية، ومجموعة كردية استوطنت في الشمال الشرقي من محافظة اللاذقية تعربت مع الزمن، وأكبر بلداتها سلمى.

تمكن أغوات الدنادشة من تملك الأرض في آخر القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين. وكانت معاملتهم الفلاحين قاسية. وتميزت منازلهم بالفخامة والأثاث الثمين. وكانت نفقاتهم مثل إقطاعيي قضاء عكار كثيرة. لهذا أرهقوا الفلاحين، وأكثريتهم من العلويين، بالإتاوات وأمعنوا في استثمارهم، كما استغلوا البدو أيضًا. بلغ عدد الدنادشة في عام 1914 نحو1500 نسمة، ويقولون إنّ أصلهم من اليمن. وراوح الدخل السنوي للأغنياء منهم 500 ليرة، وهبط لدى أقلهم غنى إلى 200 ليرة. أمّا الزعبية فيقولون «إنهم من أخلاف عبد القادر الكيلاني[2]، ولا فرق بينهم وبين الدنادشة من حيث تعاملهم مع القرويين». وكانت هذه العائلة «مزواجة، لدى أكثرهم ثلاث أو أربع زوجات»[3].

عمل العلويون[4] «لدى الدنادشة والزعبية أو في قرى خلصت لهم في جبل الحلو [...] وبعضهم ألف الشقاوة [...]»[5]، وهذا بحسب رأينا بسبب فقرهم. أمّا «النصارى فهم من حيث المعيشة أرقى من النصيرية بدرجة أو درجتين. ومع ذلك ليست متوفرة لديهم وسائل الرفاه والراحة»[6].

تجسدت مقاومة الفلاحين العلويين الظلم في قضاء تلكلخ في آخر العهد العثماني في ظاهرتين:

---

(2) التميمي وبهجت، ص 307. وهذا الشائع أيضًا لدى زعبية حوران.
(3) المصدر نفسه.
(4) يسميهم كتاب ولاية بيروت النصيريين بحسب ما كان شائعًا آنذاك.
(5) المصدر نفسه307.
(6) المصدر نفسه.

- ممارسة «الشقاوة» - بحسب تعبير كتاب ولاية بيروت وأنموذجه قرية جبلايا.

- الانتفاض على الظلم والاستعباد ومقاومة الأغوات، ومنعهم من تملك أراضي الفلاحين؛ وأنموذجه قرية شين وعدد سكانها 1500-2000 نسمة[7].

مع صدور قانون الأراضي العثماني في عام 1858 وظله قانون الطابو، شرع أغوات الدنادشة في الاستيلاء على الأراضي وتسجيلها بأسمائهم، شأنهم شأن جميع المتنفذين من «أرباب الوجاهة» الذين تمكنوا بمساعدة الحكم العثماني وبما لهم من عصبية من تسجيل أكثر من خمسين قرية بأسمائهم، امتدت من شرق سهل عكار حتى سهل حمص، مرورًا بقرى الوعر.

ظهر أغوات الدنادشة في منطقة تلكلخ في آخر القرن الثامن عشر، عندما استعانت بهم الدولة العثمانية لحماية طريق طرابلس - حمص، مثلما استعانت بأغوات آل سويدان في حسية لحماية طريق حمص - دمشق[8].

ما جاء في كتاب ولاية بيروت، عن استثمار إقطاعيي تلكلخ فلاحي القرى المجاورة، هو مفتاح فهم الصراع الناشب بين

---

(7) عن هذا الموضوع وتناول الظاهرة بالتحليل والتعليل، انظر: نعيم فرح [وآخ.]، ملامح من تاريخ الفلاحين في الوطن العربي ونضالهم في القطر العربي السوري، 4 مج (دمشق: الاتحاد العام للفلاحين، [د. ت.])، مج 3: عبد الله حنا، العصر الحديث: المسألة الزراعية والحركات الفلاحية من الاحتلال العثماني حتى الاستعمار الفرنسي، ص 355-368.

(8) حنا، العصر الحديث.

الفلاحين المالكين لأراضيهم والمكافحين للدفاع عنها في جبلايا وشين وغيرهما من ناحية، والأغوات الإقطاعيين الراغبين في توسيع ملكيتهم باتجاه الشمال والحصول على مزيد من الثروة والمال «عصَبيْ الحياة» من ناحية ثانية.

قرية جبلايا الحصينة الرابضة على السفوح الجنوبية لجبل الحلو استولى الأغوات على نصف أراضيها في آخر القرن التاسع عشر. وعندما سعوا للاستيلاء على باقي أراضي القرية، تصدى لهم أهلها، وجرت معارك عدة، كان أشرسها في أحد أيام 1910، عندما استولت حملة عسكرية عثمانية على القرية الحصينة وقامت بتخريبها. وبعد انسحاب الحملة، عاد أهالي القرية إليها، وساروا في تمردهم على الواقع الإقطاعي العثماني بالأساليب المتوافرة في ذلك الزمن، وفي مقدمها «التشليح» أو أعمال «الشقاوة».

إنّ أعمال «الشقاوة» هذه هي بصورة عامة إحدى ثمار النظام الإقطاعي واستغلال الإنسان للإنسان. وهي صورة من صور الاحتجاج على النظام الاجتماعي القائم على عدم المساواة، وعلى تكديس الثروة في جانب وحرمان الأكثرية من ثمرة أتعابها. فمن المَلوم والمسؤول عن أعمال «قطاع الطرق»؟ الفلاح الذي سرقت أرضه، أم الآغا سارق الأرض؟

حوادث قرية شين هي امتداد لحوادث جبلايا والصراع بين الفلاحين المالكين الأرض، والأغوات الإقطاعيين الراغبين في السيطرة على أراضي شين والتقدم في جبل الحلو وإدخاله في دائرة ممتلكاتهم.

تقع قرية شين على السفوح الجنوبية الشرقية لجبل الحلو إلى الشمال من تلكلخ. وكانت الملكية فيها في منتصف القرن التاسع عشر على المشاع مقسمة إلى 104 صمد (فدان). وبعد أن استولى أغوات تلكلخ على معظم القرى المحيطة بشين، وحوّلوها إلى قرى خاضعة للنير الإقطاعي، ولم يبق للفلاح «لا أرض ولا عرض» - بحسب تعبير محمود الشمالي - أمسى الأغوات متعطشين لتملك أراضي شين[9]، وتحويل فلاحيها الأحرار إلى أرقاء، مثل باقي الفلاحين الخاضعين لحكم الأغوات. ولم يستطع الأغوات تملك أي صمد في شين لأسباب كثيرة، منها صمود أهل شين في وجه السلطة العثمانية والأغوات. وما كتبه يوسف الحكيم، قاضي التحقيق في طرابلس قبل عام 1914، عن أسباب الخلاف ومجريات المعركة بين أهل شين والأغوات، خير دليل على ذلك.

كتب الحكيم[10]: «ولما ضاق أهل القرية ذرعًا من جور سادتهم ومن جباة ضرائب الحكومة الذين يفدون إلى القرية مستصحبين نفرًا من الدرك، خرجوا عن صبرهم، وكثرة الضغط تولد الانفجار، واصطدموا في يوم من أيام الشتاء القاسية (1912) مع الدركيين والزعماء، فسقط في المعركة قتلى وجرحى من الفريقين». ولهذا جاء قاضي التحقيق يوسف الحكيم من طرابلس لضبط مشاهداته في مكان الحادث. وعن ذلك كتب الحكيم:[11] «[...] وشاهدنا آثار التخريب

(9) محمود الشمالي، مقابلة شخصية، شين، 22/10/1984. وهو مدرس تاريخ من مواليد عام 1934.

(10) يوسف الحكيم، سورية والعهد العثماني، ط 4، ذكريات؛ 1 (بيروت: دار النهار، 1980)، ص 85.

(11) المصدر نفسه.

الذي حلّ بالقرية (شين)، وعلمنا أنّ سكانها قد هجروها على أثره، وسيق معظم شبانها إلى السجن في تلكلخ، مركز القضاء». ويصف قاضي التحقيق حالة السجن المزرية الخالي من أي أثاث، والسجناء يرتجفون من شدة البرد، والمياه الدالفة تحيط بهم من كل جانب [...].

من أجل أن يتمكن الفلاحون من دفع نفقات الدعوى ومصاريف السجون، قاموا باستقراض مبلغ من المال من مصطفى علم الدين في طرابلس. واستمر فلاحو شين منذ عام 1916 يدفعون عشر المحصول إلى مصطفى علم الدين، ومن ثمّ إلى ورثته حتى عام 1938. وهنا نلاحظ أنّ فلاحي شين تخلصوا من حكم إقطاعية الأغوات ليقعوا تحت حكم الإقطاعية التجارية. إذ إنّ علم الدين أمسى يُضمّن العُشر إلى آخرين، ويضع وقّافة وشوابصة لحراسة المحاصيل. وكان فلاحو شين أكثر وعيًا، وأوفر حظًا من فلاحي القرى الأخرى التي وقعت تحت أقدام الاستغلال الربوي، ولم تستطع أن تفي ديونها، فتحولت ملكية القرية إلى التجار والمرابين. وهنا نجد أنّ شين من الحالات الفريدة التي تمكن فيها الفلاحون من سداد الديون في مدة لم تتجاوز 22 عامًا (بين 1916 و1938)، وتمكنوا من الخلاص من جحيم الإقطاعية[12].

ألا يلقي هذا الواقع الأضواء على انتشار المرشدية في شين وبعض قرى جبل الحلو؟ ولم نكن ندري لدى زيارتنا شين أنّ قسمًا

(12) عندما زرنا قرية شين في عام 1984 لم نكن نعلم أنّ قسمًا من أهالي شين أصبح مرشديًا مع انتشار الحركة المرشدية في ثلاثينيات القرن العشرين. وأسباب قيام الحركة المرشدية وانتشارها في عدد من مناطق سكن العلويين متعددة، ويأتي في مقدمها العامل الاجتماعي المتداخل مع الموروث الديني.

من أهلها مرشديون. ولم تتح لنا الظروف العودة إلى شين ومعرفة سرِّ انتشار المرشدية فيها.

2- قضاء جبلة

تألف هذا القضاء من الريف ومن بلدة جبلة وسكانها من السنّة، وعددهم قبل الحرب العالمية الأولى 5000 نسمة، انقسموا، بحسب ما جاء في كتاب ولاية بيروت، إلى ثلاث فئات:

أ- الفئة الأولى

تألفت من أسرتين بلغ عدد أفرادهما 200 نسمة، احتكر بعض أفرادها تجارة القضاء، وملكت الأسرة الأولى 70 في المئة من عموم أراضي القضاء الصالحة للزراعة من قرية «حماميم» إلى قرية «حريصون»، وقدّرت ثروة بعض أفرادها نحو خمسين ألف ليرة. أمّا الأسرة الثانية فملكت من 10 إلى 15 في المئة من أراضي القضاء، وزادت ثروة بعض أفرادها على 10000 ليرة. وأغلب أفراد هاتين الأسرتين متخرج في الأزهر، وهم متمسكون بالدين، لكن سطوتهم ضعيفة بعكس غيرهم من كبار ملاك الأراضي، لذلك فإنّ غلالهم كثيرًا ما سُرقت من الفلاحين العلويين الجياع المحرومين من الأرض.

ب- الفئة الثانية

يُدرج أفراد هذه الفئة في عداد الفلاحين الأغنياء والمتوسطين، وبلغ عددهم بين 250 و300 نسمة، وملكت هذه الفئة 10 في المئة من الأراضي، واشتغلت بزرع التبغ والتنباك والتجارة بهما.

ج- الفئة الثالثة

كوّنت السواد الأعظم من سكان البلدة البالغ عددهم 4500 نسمة، وكانوا لا يملكون أي وسيلة إنتاج، و«يحصلون على عيشهم بكد يمينهم عن طريق الزراعة والحراثة، ويسكنون في الحارات الوسخة الفقيرة». وقدّر مؤلفا كتاب ولاية بيروت الذي استقينا منه هذه المعلومات أنّ عدد سكان ريف جبلة وهم من العلويين بلغ 33500 نسمة.

قُسّم الريف اجتماعيًا، كما في قضاء صافيتا، إلى ثلاث فئات: المقدمون والمشايخ والفلاحون وكانوا فقراء معدمين. وأدى الفقر المدقع الذي عاشه هؤلاء الفلاحون إلى دفع بعضهم «إلى ارتكاب الشقاوة وقطع الطرق» حتى يسد رمقه. كما جعلهم في الوقت نفسه فريسة سهلة في أيدي المقدمين الذين استخدموهم أداة ضغط وتهديد ضد الآخرين من منافسيهم[13]. وذكر كتاب ولاية بيروت أنّ عدد المقدّمين بلغ 25 مقدّمًا، وعدد المشايخ 10، ولبعض العشائر مقدمان، ما عدا عشيرة النميلي فلها شيخ واحد فقط[14].

---

(13) أمّا عشائريًا فتألّف ريف جبلة من العشائر العلوية التالية: بني علي من الحدادين 4000 نسمة، والقراحلة (الشراقة أو الغرابة) 8000 نسمة، وبيت نميلي 1000 نسمة، وبيت ساطر 500 نسمة، والكلبية في الساحل وجبال الكلبية 8000 نسمة، والنواصرة 4000، وحلة مرة ينو 1000 نسمة، والخياطون 7000، والمجموع 33000. انظر: التميمي وبهجت، ولاية بيروت.

(14) يقصد النميلاتية «جميعهم مشايخ (بالولادة) وهم في الأصل مشايخ لجميع العشائر السنجارية». انظر: محمد خوندة، تاريخ العلويين وأنسابهم (اللاذقية: دار المحجة البيضاء، 2004)، ص 209.

3- قضاء اللاذقية

لم يختلف الوضع في ريف اللاذقية عنه في جبلة وصافيتا، إذ ملكت بضع عائلات إقطاعية من اللاذقية أراضيَ تراوحت قيمتها بين 1000 و2000 ليرة، وبلغ دخل العائلة بين 200 و500 ليرة، في حين عاشت جماهير الفلاحين من العلويين في حال من البؤس والحرمان، وكانت تعمل بالمحاصصة لدى ملّاك الأرض القاطنين في اللاذقية. وسنرى أنّ سلمان المرشد قام بتأييد الفلاحين العلويين في قرية سطامو المتنازعين على الأرض مع إحدى عائلات الوجاهة في اللاذقية، التي كان لها شأن في التحريض على المرشد، كما سنرى.

يلاحظ وجود كثافة سكانية للتركمان في شمال قضاء اللاذقية، هؤلاء تألفوا من الأغوات وهم من كبار ملاك الأرض ومن العامة الفقيرة.

أمّا مدينة اللاذقية البالغ عدد سكانها آنذاك 25000 نسمة، فتألفت من ثلاث طبقات؛ الأغنياء وتعدادهم سبع أسر راوح عددهم بين 500 و600 نسمة، وهم قسمان: التجار وأصحاب الأراضي والأملاك[15]. والطبقة الوسطى التي كانت مؤلّفة من 50 عائلة، عدد أفرادها 1000 نسمة، من الفلاحين الأغنياء أو صغار الملاك ومن تجار المرتبة الثانية. وطبقة العوام وهم النوتية وبائعو الخضرة وزراع البساتين والعمال.

---

(15) يُفصِّل محمد خوندة في كتابه تاريخ العلويين وأنسابهم أصول هذه العائلات وأوضاعها.

عن الوضع في ريف اللاذقية نورد ما كتبه بو علي ياسين في الفقرة التالية[16]:

«في ضيعتنا وفي ريفنا عمومًا، كان الإنتاج الزراعي والحيواني حتى الستينيات مخصصًا أساسًا للاستهلاك الأسري؛ كان في المقام الأول إنتاج قيم استعمالية، وليس إنتاجًا سلعيًا. وما يُباع في السوق هو ما يفيض عن الحاجة، باستثناء مواد معدودة كالحرير والقطن، وخصوصًا الدخان الذي احتكرت تجارته وصناعته الدولة الفرنسية المحتلة أولًا ثمّ الدولة الوطنية. ولم تكن أسعار هذه الفوائض تشجع على تركيز الجهود فيها. فكان الهمّ الأول للفلاح هو تأمين مؤونته من قمح الطحين والبرغل والزيت، ومؤونة حيواناته من التبن والشعير. فإذا تمّ ذلك، اطمأنّ الفلاح إلى أنّه لن يجوع السنة القادمة، ولن تنفق حيواناته أو يضطر لذبحها أو بيعها بثمن بخس. وكل مؤونة إضافية، من مواد أخرى، مثل العدس والذرة البيضاء والتين اليابس والدخان وغيرها، يعدّها زيادة في الخير».

4- قضاء الحفة

عُرف سابقًا بقضاء صهيون ومركزه بابنا، وتوزع سكانه دينيًا في عام 1914 على النحو التالي: السنّة 16106 نسمة، العلويون 14750 نسمة، النصارى 2116 نسمة. وانقسم المجتمع اجتماعيًا إلى طبقتين: الأغنياء وهم الأقلية، والفقراء. وينقسم السنّة إلى تجمعين: الأكراد الذين تعربوا، والصهاينة وهم بحسب المرويات

(16) بو علي ياسين، عين الزهور: سيرة ضاحكة (دمشق: دار الحصاد، 1993)، ص 39.

قدموا من مناطق إدلب، وسكنوا قلعة صلاح الدين بعد تحريرها من الفرنجة. ومعروف أنّ القلعة كانت تسمّى في ما مضى قلعة صهيون فغلب اللقب عليهم. وكانت السلطات العثمانية تدعم وجهاء الصهاينة والأكراد، وهذا ما يفسّر قول كتاب ولاية بيروت: «ولا يدّخر زعماؤهم وسعًا في منع السعادة والرفاه عن أتباعهم من القرويين»[17].

أمّا العلويون فانقسموا عشائريًا إلى: العمامرة (5000–6000 نسمة)، والمهالبة (2000–3000 نسمة)، وعشيرة داريوس (الدراوسة)، وعشيرة بيت شلف (10000–12000 نسمة). ويلفت كثرة عدد المسلحين، وفق تقدير كتاب ولاية بيروت، في عشائر هذا القضاء، سواء من عشيرتي صهيون والأكراد أم من العشائر العلوية، إذ وجد 3000 مسلح في عشيرة بيت شلف وحدها[18].

نشير هنا إلى أنّ أعدادًا كبيرة من عشائر العمامرة والمهالبة والدراوسة كانت من أوائل المنضمين إلى الحركة المرشدية. لماذا؟ لم تتح لنا الظروف دراسة الأسباب. وتحوي محاضر جلسات المجلس النيابي السوري بين صفحاتها صورًا لواقع حياة الفلاحين خصوصًا، وسكان محافظة اللاذقية عمومًا. وسننقل هنا صورة عما ورد في جلسة المجلس النيابي في 28 آذار/ مارس 1949، إذ تقدّم نائب جبلة عثمان حسن إسبر بالشكوى التالية:

---

(17) التميمي وبهجت، ص 440.

(18) ونرجح أنّ هذا العدد مبالغ فيه.

«إنّ ما يلاقيه بعض أهالي محافظة العلويين من الاضطهاد الشديد والقسوة الكبيرة والتعذيب الجسدي المحرم في الدستور [...]، وإنّ ما يلاقيه أبناء العلويين وخاصة في قضاء الحفة حيث يمثّل بهم الظلم بصورة تشمئز منها النفوس. هناك أعمال بربرية وهذا بعضها: نتف شوارب الرجال وذقونهم بعد الضرب المبرّح، وضرب النساء فلقات أمام الرجال وزجهم بالسجون بالعشرات». وهذا مما ترك لدى الأهلين موجة كبيرة من السخط والاستياء. وطالب عثمان إسبر بـ «الضرب على أيدي الموظفين الذين يقومون بهذه الأعمال، ليشعر السكان العلويون أنهم جزء من هذا الوطن، ولهم جميع ما للسوريين من الحرمات». نشير هنا إلى أنّ المرشدية انطلقت في أجواء الفقر والبؤس التي كان يعيشها فلاحو عشائر المهالبة والدراوسة والعمامرة، وهم الحاضنة الشعبية للمرشدية.

5- قضاء طرطوس

مركزه بلدة طرطوس وعدد سكانها 5000 نسمة، ثلاثة أرباعهم من المسلمين السنّة والربع من المسيحيين. وحتى عام 1914 لم يسكن أي علوي بلدة طرطوس. وهذه الظاهرة تنطبق على المدن الساحلية الأخرى: اللاذقية وجبلة وبانياس. ولم تبدأ هجرة الريف العلوي إلى هذه المدن إلّا بعد الاستقلال في عام 1943، وتحديدًا في الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين. ويذكر خوندة أنه لم يكن يسمح للعلويين في العهد العثماني بالسكن قريبًا من الطريق العام الساحلية. وكانت بيوتهم تبعد عن الطريق مسافة تراوح بين خمسة وستة كيلومترات، أي مسيرة ساعة على الأقدام. والسبب

خوف الدولة من هجماتهم على المسافرين[19]. ولم يذكر كتاب ولاية بيروت عدد العلويين في ناحية ريف طرطوس، لكنه أشار إلى أسماء العشائر العلوية: الحدادين والخياطين والمتاورة والجردية. ولكل عشيرة شيخ أو شيخان وليس للمشايخ ملك أو مال.

تُقدّم إلينا رسالة سمير حسن لنيل الماجستير في علم الاجتماع، وعنوانها «الاندماج الاجتماعي للمهاجرين الريفيين في الحياة الحضرية لمدينة طرطوس»، فكرة عن الهجرة الريفية في خمسينيات القرن العشرين وما بعدها[20]، فطرطوس حتى آخر الخمسينيات تألفت من المدينة القديمة المسوّرة المنغلقة على نفسها بتقاليدها وطابعها الإسلامي. وإلى جانبها من ناحية الجنوب، حي خاص تسكنه بعض العائلات المسيحية، وهي من أقدم سكان المدينة. واشتغل أغلب سكان المدينة المسورة (طرطوس القديمة) بالعمل الزراعي في بساتين الليمون والزيتون المحيطة بالمدينة، وتعود ملكيتها لعائلات قليلة. والعلاقة بين العمال ومالكي الأرض ذات طابع أبوي[21]. كما عمل قسم من سكان طرطوس في صيد السمك.

---

(19) خوندة، ص 215.

(20) سمير حسن، «الاندماج الاجتماعي للمهاجرين الريفيين في الحياة الحضرية لمدينة طرطوس» (رسالة ماجستير، جامعة دمشق، سورية، 1986). واعتمد عليها معاذ حسن ونشر مقالة بعنوان: «مدخل لدراسة وضع الطبقة العاملة في محافظة طرطوس ودور الحزب في ذلك،» دراسات اشتراكية، السنة 5، العدد 92 (أيار/مايو 1989)، ص 114-126.

(21) الأسرة الأبوية هي الأسرة البطريركية التي يهيمن فيها كبير الأسرة على كل شيء. وتعني هنا أنّ مُلّاك الأرض شغّلوا في بساتينهم أقرباءهم غير المالكين. وعلاقة القرابة هذه بين المالك والعامل في الأرض تختلف عن العلاقة بين المالك والعمال الغرباء.

وكانت الأقلية المسيحية في المدينة تعمل في التجارة، وفي حرفة الصياغة، إضافة إلى الأعمال الزراعية[22].

6- قضاء بانياس

اسمه السابق قضاء المرقب، ومركزه بانياس التي كانت حتى مستهل القرن العشرين تجمعًا سكانيًا صغيرًا. ويبلغ عدد سكانه في عام 1914 نحو 35000 نسمة، توزعوا دينيًا على النحو التالي: سنّة 5000 نسمة، علويون 24000 نسمة، إسماعيليون 6000 نسمة، روم أرثوذكس 3500 نسمة، موارنة 1300 نسمة.

يذكر كتاب ولاية بيروت أنّ المسيحيين في قضاء بانياس وعددهم نحو 5000 نسمة، سكنوا في عشرين قرية محاذية للساحل، وتبعد عنه مسافة ساعة أو ساعتين سيرًا على الأقدام، أي بين 5 و10 كلم. وينتمي العلويون - وعددهم يفوق الثلثين - عشائريًا إلى الحدادين والخياطين ويمثّلون الثلثين، أما الثلث الثالث من العشائر فيتألف من المتاورة والجردية والبشاورة[23]. ووفق ما جاء في كتاب ولاية بيروت فإنّ أرقى القرى هي قرى الإسماعيليين، وتليهم قرى المسيحيين، ثم قرى السنّة، أمّا «قرى النصيرية فهي في أسوأ الحالات بأوساخها». ويعود سبب ذلك في رأينا إلى الفقر واضطهاد الحكم العثماني. ومن يزُر اليوم (2005) قرى العلويين يجدها نظيفة، ولا تختلف عن باقي القرى.

---

(22) حسن «مدخل لدراسة وضع الطبقة العاملة».

(23) لعلها البشاغرة.

7- قضاء صافيتا

توزع سكان القضاء (30000 نسمة) وفق أوضاعهم الاجتماعية إلى ثلاث فئات:

أ- فئة الرؤساء

كان لكل عشيرة بيت انحصرت فيه الرئاسة، وانتقلت إلى الأولاد والأحفاد من طريق الإرث، وكان لهؤلاء الرؤساء سلطة عظيمة وسيطرة قوية، ومن أشهر الرئاسات: رئاسة «بني حامد» (100 نسمة) على الحدادين (10000 نسمة)، ورئاسة «بني جابر» (العباس) (150 نسمة) على الخياطين (10000 نسمة). وكان نصف أملاك القضاء في عام 1914 في حوزة بني حامد وبني جابر. وراوح دخل رؤساء الحدادين والخياطين من 1000 إلى 1500 ليرة سنويًا. أمّا دخل رؤساء العشائر الأخرى من المتاورة (عددهم 3000 نسمة) والنواصرة (عددهم 3000) والرسالنة (عددهم 2000) والشمسيين (عددهم 3000)، فكان لا يقل عن 700 إلى 800 ليرة. وأطلق على رؤساء الحدادين والخياطين لقب «أفندي»، في حين أطلق على رؤساء العشائر الأخرى لقب «آغا». وكان المشهور عن هؤلاء الرؤساء تقربهم من مأموري الحكومة حتى يتمكنوا بواسطتهم من تثبيت سلطتهم بمؤازرة القوة العمومية أي سلطة الدولة.

ب- فئة المشايخ

يحتل هؤلاء المرتبة الثانية، وكانت لهم سلطة دينية، يحاولون من طريقها الحصول على بعض المكاسب في ذلك الجو الفقير. وكان

الرؤساء يجزلون العطاء للمشايخ من أجل كسب رضاهم. وكان المشايخ يتقاضون الزكاة من العامة (الفلاحين)، ويعيشون بفضلها، وأدّت سياط جنود الدولة العثمانية دورًا في دفع العامة إلى الاحتماء بالرؤساء والمشايخ، والتكتل حول الطائفة عمومًا والعشيرة خصوصًا.

ج- فئة العامّة

قسّمت إلى قسمين رئيسين:

- الفلاحون، وكوّنوا ثلثي العامة، وانقسموا بدورهم إلى فئتين: فلاحون يملكون قطعًا صغيرة من الأرض، وفلاحون محرومون من الأرض ويعملون عند الرؤساء، أي رؤساء العشائر، ويخضعون لاستثمار شنيع.

- العاملون بالحرير وعددهم يقارب ثلث العامّة.

كما وُجد في قضاء صافيتا عدد لا بأس به من الفلاحين الإسماعيليين الخاضعين مثل إخوانهم الفلاحين العلويين للمشايخ، وعددهم 15 شخصًا. ويقدّر كتاب ولاية بيروت عدد المسيحيين في قضاء صافيتا بين 5000 و6000 نسمة، «عاشوا مختلطين بالنصيرية في 17 قرية، ولهم ثلاث قرى خالصة لهم، لا يشاركهم فيها النصيريون». و«خمس المسيحيين يشتغل باستحصال الشرانق وبيع الأقمشة أو بصنعة الحدادة أو الخياطة أو البناء، وخمسهم يشتغل بالفلاحة، والباقي منهم يعيش بنقود أميركا»، أي من المال الآتي من أقاربهم المهاجرين إلى أميركا. ولم تقتصر الهجرة على المسيحيين بل تعدتها إلى العلويين. ويقدّر عدد المهاجرين العلويين إلى أميركا من قضاء صافيتا بعشرة آلاف. وكان دخل قضاء صافيتا من المهجر،

قبل الحرب العالمية الأولى، قرابة 250 ألف ليرة في السنة. ومن يقرأ «من دفتر الذاكرة» لدانيال نعمة يلاحظ مدى اتساع الهجرة من قضاء صافيتا ومنها المشتى إلى أميركا[24].

كانت المشتى في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين مركزًا للصناعات الحرفية، كصناعة العباءات والحرير، وسوقًا للتجارة والربا، وعقدة مواصلات، أدّت إلى ظهور فئة من المكارية، تنقل البضائع من منطقة إلى أخرى. ولم تكن الزراعة القطاع الأساسي في حياتها[25]. وفي المشتى، أقامت عائلة آل ثابت اللبنانية معملًا لصناعة الحرير، عمل فيه في عام 1945 نحو 200 عامل وعاملة[26]. وعلى الرغم من الخلافات الحادة بين عائلتي الحلو والخوري، كانت المشتى بسبب طابعها «الحرفي التجاري»، مهيأة لتقبل تنظيمات المجتمع المدني. ولهذا كانت المشتى منذ ثلاثينيات القرن العشرين محط أنظار الحزبين العلمانيين المتنافسين والمتخاصمين: الحزب السوري القومي الاجتماعي والحزب الشيوعي.

ثانيًا: مشايخ العلويين ورؤساؤهم

جلس على رأس الهرم الاجتماعي للعشيرة الرؤساء الذين تحوّل بعضهم ملّاكًا للأرض، ومعهم أو دونهم بقليل احتلّت فئة

---

(24) مخطوط محفوظ لدى أبناء دانيال نعمة.

(25) المصدر نفسه. يقال إنّ اسم المشتى أتى من كونها مركزًا شتويًا لحفظ بذور دودة الحرير (بيوض الديدان) فعرفت بالمشتى. والحلو نسبة إلى آل الحلو. ومساكنها القديمة حجرية متراصة في ثلاثة أحياء.

(26) انظر التقرير الذي أعدّه بدر مرجان عن: مطالب الشعب في الجبل العلوي (دمشق: منشورات الحزب الشيوعي السوري، 1945)، ص 21.

من المشايخ مرتبة مميزة. ولم يكن المشايخ، كما هي الحال في كل مكان، على سوية واحدة. فهناك مشايخ مرموقون لا يردّ لهم طلب، ومشايخ متوسطو الحال، ودونهم المشايخ الجوالون وهم في منزلة الفقراء.

1- بعض ما كتبه متنورو العلويين عن مشايخهم

أ- الباحث الماركسي بو علي ياسين (ياسين الحسن)

كتب ياسين ما يلي: «ينقسم الناس في جبال العلويين، إلى جانب التقسيم العشائري، إلى شريحتين اجتماعيتين رئيستين: المشايخ والعوام. وقد يكون أصل هذا التقسيم دينيًا طبقيًا، لكنه الآن (1990) على صعيد الواقع الاجتماعي الاقتصادي لا يدلّ على أي فروق طبقية حقيقية، إنّما قد يعطي الانتماء إلى شريحة المشايخ بعض الوجاهة على مستوى القرية أو الناحية. إضافة إلى ما يشاع عن أنّ بنات المشايخ أجمل من بنات العوام، ذلك أنّ بنات المشايخ أقل شقاءً في الزراعة وتربية الحيوان، وأقلّ تعرُّضًا لأشعة الشمس. كما أنه لا يعني بالضرورة أنّ أبناء المشايخ يمارسون حاليًا بالضرورة دور رجال الدين، إنما يهيّئ لهم هذا التصنيف الفرصة للقيام بالدور المذكور، لمن أرادوا وحازوا المعرفة والخبرة اللازمتين لذلك. وقد كان جدي شيخًا وفلاحًا في الوقت نفسه، وكذلك كان أبي، لكنه قلّما مارس المشيخة، وما كان يرغب في التكسّب من هذه المهنة»[27].

---

(27) ياسين، ص 26.

«أكثر ما كان يزور الضيعة[28] من الغرباء هم «المشايخ الدوارة» الذين يأتون ليأكلوا ويناموا أحيانًا و«ليشحذوا» (بحسب الموسم) الحبوب والزيت وغيرهما. وكان هؤلاء يُصنَّفون اجتماعيًا في مرتبة ما بين الشحاذين والمشايخ البهاليل. وقد زخرت الثقافة الشعبية بالنوادر والنكات عن هؤلاء المشايخ الجوالين الذين كانوا يغمغمون في كلامهم، فلا يفهم المرء شيئًا من أدعيتهم، ربما لكثرة ما رددوا هذا الكلام أو خوفًا من أن 'يكشف' المضيف جهلهم»[29]. و«لم يكن أهل الضيعة يسيئون معاملة المشايخ الدوارة، وفي الوقت نفسه ما كانوا يحترمونهم كثيرًا. فالشيخ المحترم في نظر هذا المجتمع لا يدور على القرى ويطلب الزكاة كالشحاذ، بل لا يزور من دون عزيمة سوى الأسر القريبة أو الصديقة أو الأسر التي سبق أن عزمته أو استدعته في المناسبات. وإذا ما ذهب، مع ذلك، شيخ من هؤلاء المحترمين يدور على الزكاة في القرى لدى الأسر المذكورة، فإنه يرتدي لباسًا ملائمًا له بصفته شيخًا: سروالًا وسترة وجبة بلون واحد، أو قنباز وفوقه جاكيت وتحته لبيسة بيضاء، وعلى الرأس في كلا الحالتين طربوش ولفّة. كما يركب على حمار، ويرافقه شخص راجل يخدمه اسمه «العكام». هذه مظاهر مهمة، لكن المقياس الحقيقي للشيخ المحترم هو قيامه بالدور المرسوم له اجتماعيًا في المناسبات مثل الزواج والطلاق والأعياد والحسنات والنذور والمآتم، وفي قراءة القرآن، وسرد الأحاديث والقصص الوعظية

(28) ضيعة بو علي ياسين مزرعة صغيرة تسمى «عين الجرب»، تبعد نحو اثنين وعشرين كلم عن مدينة اللاذقية باتجاه حلب. وبو علي ياسين من مواليد 1942، وأنهى تأليف كتابه المذكور في عام 1990، واسمه الأصلي ياسين الحسن.

(29) ياسين، ص 59.

والدينية والعلمانية [...]، وفي تعليم الدين للجيل الناشئ»[30]. و«كان يزورنا في الضيعة مجموعة من هؤلاء المشايخ المحترمين الذين تربطهم بآبائنا صلات قربى و - أو صداقة [...]. وقد تلقّى هؤلاء الصدمات الأولى لرفضنا[31] العفوي للعلاقات الاجتماعية السائدة. تجلى أول ما تجلى في إحجامنا عن تقبيل أيديهم، خلافًا للعادة والعرف. غير أنهم قابلوا سلوكنا هذا بالتسامح غالبًا، وبقوا على مودتهم لنا بقاءهم على مودة أهلنا، بل إنهم كثيرًا ما دافعوا عنّا أمام أهل الناحية. كانوا رجال دين لمن أرادهم من الناس، وما كانوا مبشّرين. كانوا يقرؤون القرآن، ويقيمون الشعائر ويعظون، وفي الوقت نفسه يتسامرون مع آبائنا بإنشاد الأشعار ورواية الأحاديث والنوادر، وسماع الغناء، كما يتمازحون ويلعبون بالمنقلة. ثمّ كانوا يهتمون بأمور الناس، ويسعون لفضّ المشاكل، وتسوية الخلافات في وسطهم الاجتماعي. وكان احترامهم وتقديرهم الجيل المتعلم الصاعد يشفع لهم غيبياتهم وخزعبلاتهم المتوارثة»[32].

ب- ما نُقل عن لسان كامل عباس بتاريخ 21/ 1/ 1992

قال كامل، من حزب العمل الشيوعي والسجين في صيدنايا، أمام عدد من نزلاء السجن:

«ما أذكره عن قريتي أنها فقيرة، وتميزت بكون جميع أهلها مشايخ، والعادة في الطائفة العلوية لا يحق لأحد أن يصبح شيخًا

(30) ياسين، عين الزهور.

(31) الضمير «نا» يعود على المتعلمين من أقران بوعلي ياسين.

(32) ياسين، ص 60.

إلّا إذا كان ابن شيخ، والمشيخة امتياز تساعد على تناول الزكاة في الأعياد (هي عندنا اثنا عشر عيدًا). أما العوام فلا تجوز الزكاة لهم، وابن الشيخ يصبح شيخًا بالوراثة، أما إذا أراد ابن الشعب أن يصبح شيخًا فيحتاج إلى طقوس وإجراءات عديدة، تحول بينه وبين الوصول إلى المشيخة، ربما سبب إقبال أهل القرية على المشيخة هو الفقر، فكان حفظ الأدعية مصدر دخل».

ويمضي كامل قائلًا: كنت الأصغر بين إخوتي، ولذلك لم أعاصر أحد أجدادي، فجدي والد والدي كان شيخًا، وقد جمع بين المشيخة والطب الشعبي. وذات مرة سخّر الجن لمساعدته على حصاد الحقل. أما جد والدتي فكان صالحًا وكان لغويًا وعلّامة ولُقّب بالخطيب، لأنه أقام أعوامًا خطيبًا في الكتّاب، يعلّم به أبناء المنطقة القرآن[33].

ج- ثقافة المشايخ

هؤلاء كانوا من متوسطي الثقافة، وهذا ما كتبه عبد اللطيف اليونس عن والده الشيخ الذي كان يحتفظ بكتب كثيرة بعضها مخطوط وأكثرها يقتصر على سيرة النبي محمد وآل بيته، ثمّ على

---

(33) نقلًا عن: أحمد سويدان، «مذكرات أحمد سويدان: تاريخ من لا تاريخ لهم،» والمذكرات لا تزال مخطوطًا لم يُنشر. ولا بد من الإشارة هنا إلى أنّ نشاط رابطة العمل الشيوعي في الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين بحاجة إلى دراسة خاصة. وقد قدّمت تلك المجموعة من الشبان والشابات، وقسم كبير من أعضائها علويون، ألوانًا من الشجاعة أمام التحقيق المتزامن مع التعذيب الرهيب، وصمدت في السجون، ودافعت بحنكة أمام المحاكم. كما قدّم العديد من مفكري الرابطة الشبان دراسات نُشرت في كراريس أو في مطبوعاتهم وجرائدهم السرية. وطوى القمع وعوامل كثيرة أخرى إبداعات أولئك الشبان.

مجموعة ضخمة من الأدعية الأوراد، وسيرة أولياء صالحين، كما كان الشيخ يحتفظ بنسخة من القرآن الكريم كتبها بخط يده تبركًا بها، ورغبة في الثواب[34].

د- مواقف مشايخ العلويين من رجال السلطة العثمانية

ورد في دليل لبنان وسوريا الصادر في مصر 1912-1913 أن «ما يستملح من عادات مشايخ النصيرية أنهم لا يؤاكلون الحكام الذين تعودوا اختلاس أموال الناس»، و«لمشايخهم ثلاث رتب: رتبة الإمام، ورتبة النقيب، ورتبة النجيب. وهم يرجعون إليهم في جميع أمورهم»[35].

هـ- المقدمون

كثير من العشائر برز فيها المقدمون الذين جمعوا حولهم عددًا من الرجال. ويصبح المقدم مشهورًا إذا جمع بين قوتي المال والرجال. وكان رؤساء بعض العشائر يتقاضون فريضة سنوية يؤديها لهم أفراد العشيرة. ومع مرور الزمن أصبحت فريضة لا يتجاسر أحد على التخلف عن دفعها[36].

عندما احتلت القوات الاستعمارية الساحل السوري في عام 1919، كانت العصبيات العشائرية في أوج ازدهارها، ورؤساء العشائر هم الحكام الفعليون. فرسّخ الانتداب الفرنسي هذه الظواهر، ولم

(34) عبد اللطيف اليونس، مذكرات الدكتور عبد اللطيف اليونس، ط 2 (دمشق: مطابع مؤسسة الإسكان العسكرية، 1997)، ص 15.

(35) بولس مسعد، دليل لبنان وسوريا (مصر: [د. ن.]، 1913)، ص 323.

(36) خوندة، ص 228.

يكن هو صانعها كما يروّج بعضهم هربًا من الواقع المعيش. ولنقرأ رد الكتلة الوطنية في عام 1933 على بيان المفوّض السامي: «إنّ العلويين ينقسمون إلى عشائر، ولكل عشيرة زعيم. وقد استمالت فرنسا بعض هؤلاء الزعماء، وأعطتهم الأموال والرتب، ومنحتهم السلطة. وبهذه الوسيلة أصبحوا حكامًا مستبدين»[37]. والواقع أنّ الانتداب الفرنسي لم يستمل رؤساء العلويين فحسب، بل استمال معظم رؤساء العشائر ووجهاء القرى في سائر أنحاء سورية ومن الطوائف المختلفة. وكان هدف السلطات الاستعمارية الفرنسية توسيع القاعدة الاجتماعية التي تؤيدها، ليسهل عليها حكم البلاد بواسطة هؤلاء الرؤساء والوجهاء ورجال الدين من المذاهب المختلفة.

2- العلويون في كتاب الباحث منير الشريف

نشر الباحث الوطني الدمشقي منير الشريف في عام 1946 في دمشق، كتابًا بعنوان: **المسلمون العلويون من هم وأين هم؟** وكان المؤلف عاش بين العلويين وصادقهم، وكتب عنهم مشاهداته الممزوجة بالروح الوطنية السائدة آنذاك، وشعارها «الدين لله والوطن للجميع». وينقل الشريف عن علماء العلويين قرارًا من بندين، نُشر في كراس صدر في عام 1936:

- «كل علوي فهو مسلم، يقول ويعتقد بالشهادتين، ويقيم أركان الإسلام الخمسة».

(37) رد الكتلة الوطنية على بيان المفوض السامي للجمهورية الفرنسية في سورية ولبنان. وضعه عبد الرحمن الكيالي بقرار المؤتمر الوطني المنعقد في حلب بتاريخ 16 شباط/ فبراير 1933، ص 19.

- «إنّ العلويين ليسوا سوى أنصار الإمام علي. وما العلويون سوى أحفاد القبائل العربية التي ناصرت الإمام علي (ع) في صعيد الفرات»[38].

يتتبع المؤلف في الفصل الثالث «هجرة العلويين إلى جبالهم»، ويقول: «إنّ هؤلاء العرب الذين تجمعوا في جبال اللاذقية قد شيّدوا هناك كيانًا، عربي القومية، نصيريّ المذهب. فالمسلم العلوي إذًا، عربي بدمه، ولغته، وتاريخه، وعقليته، وإسلاميته، وعاداته، ومبادئه»[39]. ويذكر الشريف بلاغ رجال الدين العلويين في تموز/ يوليو 1936 لدحض ما يشاع عن أنّ المسلمين العلويين غير مسلمين: كل علوي هو مسلم. وتواقيعهم منشورة في صحيفة القبس الدمشقية في 27 تموز (يوليو) 1936[40].

يخصص الشريف الفصل الخامس للحياة العشائرية في بلاد العلويين والفصل السادس بعنوان «رجال الدين العلويون» جاء فيه: «رجال الدين يسيرون بأكثريتهم بإرادة رؤساء عشائرهم [...]، وقد استطاع كثير من رجال الدين أن يقاوموا رؤساء عشائرهم، ويمزقوا العشيرة إلى عدة أقسام. ثمّ أصبحوا رؤساء على تلك الأقسام»[41]. ويشير الشريف إلى عادة تقبيل الأيدي، فالصغير يقبّل يد الكبير.

(38) منير الشريف، المسلمون العلويون: من هم وأين هم؟ (بيروت: مؤسسة البلاغ، 1994)، ص 12.

(39) المصدر نفسه، ص 105-106.

(40) المصدر نفسه، ص 111.

(41) المصدر نفسه، ص 126.

«والقبلات تطبع على أيدي رؤساء العشائر ورجال الدين دومًا»[42].

تحدّث الشريف في الفصل الثالث عشر عن العلويين والمزارات، وجاء فيه: «يبنون فوق كل مزار بناء نظيفًا، تعلوه قبة عالية. وأكثر المزارات في أعالي الجبال والروابي تكتنفها دوحات باسقة من السنديان والبلوط والصنوبر، والتي تلقي في روع الزائر الرهبة. والأشجار لا تقطع، حتى إنّ الشجرة التي تسقطها العواصف تجف ولا تُمس. لكل مزار خادم يعتني به، ويعيش من ريع أوقافه [..]، للمزارات حرمتها واختصاصاتها: شفاء العيون، وتهب العاقر الحمل، وتشفي الجسام من الأمراض، وتفرّج الكروب، وتغني وتفقر». ويقول الشريف إنّ: «بعض المثقفين العلويين لا يعتقدون في تلك المزارات»[43].

---

(42) المصدر نفسه، ص 137.

(43) المصدر نفسه، ص 181. ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أنّ لمعظم الديانات والطوائف مزاراتها التي تقوم بوظائف اجتماعية متعددة بحاجة إلى كتاب خاص. ونشير إلى أنّ محمد خوندة في كتابه تاريخ العلويين وأنسابهم يولي اهتمامًا خاصًا للمزارات وسدنتها، وقام بتصوير قسم كبير منها. وزار مؤلّف هذا الكتاب عددًا من مزارات العلويين. وفي إحدى الزيارات في ريف جبلة قدّم دليلنا الصديق فواز الباشا وصفًا رائعًا لوظيفة المزارات، ومنها أنّ هذه المزارات هي في إحدى وظائفها أشبه بمكان للسيران الشعبي لمن يرتادون هذه المزارات.

الفصل الثاني

النهضة العربية في الساحل السوري
في النصف الأول من القرن العشرين

يلاحظ تأخّر النهضة في ربوع الجبل العلوي بسبب عدم وجود مراكز حضارية مدينية فيه، فالمدن كانت أشبه بالبلدات، والاقتصاد الطبيعي احتلّ حيّزًا واسعًا من حياة المجتمع القائم على الزراعة والرعي[1]. كما أنّ الاضطهاد العثماني الإقطاعي رسّخ دعائم الطائفية والعشائرية. فطبيعة الدولة العثمانية الإقطاعية، قبل عهد التنظيمات في منتصف القرن التاسع عشر، دفعت الناس إلى الدفاع عن أنفسهم وأرزاقهم في اتجاهين متوازيين:

- الاحتماء بالتكتلات العشائرية والطائفية المتوارثة.
- تكوين تكتلات عشائرية أو عائلية أو طائفية جديدة.

كانت هذه التكتلات، في رأينا، ضرورة تاريخية حتّمها غياب الدولة وفقدان الأمن. وكان لا بدّ للناس في ظروف الفوضى من التكتل طائفيًا أو عشائريًا للدفاع عن أنفسهم. ولا شكّ في أنّ لأساليب

---

(1) الطبقة التجارية كانت حتى منتصف القرن العشرين هزيلة متمركزة في المدن أو أشباهها مثل اللاذقية وجبلة وبانياس وطرطوس وصافيتا. واقتصر النشاط التجاري فيها على: مال القبان، المانيفاكتورة، مبيع أجواخ وأقمشة وخضروات، قومسيون، أخشاب، حرائر، عرق، زيت زيتون، صوف، تجارة الحبوب، استيراد البضائع وتصديرها، التنباك، زيت كاز ومشروبات، أقمشة، فضلًا عن معمل زوارق في أرواد. انظر: الدليل السوري (بيروت: مطبعة جدعون، 1922) باللغتين الفرنسية والعربية. وهو مجموعة الإحصاءات الإدارية والتجارية والصناعية والاقتصادية وأسماء التجار في البلاد السورية. يقتصر الدليل على أسماء التجار ولا يذكر أي شيء عن المصارف ومحلات القومسيون والمحامين والأطباء.

الاستغلال الإقطاعي دورًا في إيجاد التكتلات العشائرية والطائفية أو تعميقها على مستوى البلاد، وخصوصًا في الأماكن التي تقطنها أقليات طائفية أو مذهبية. ولجأت تلك الأقليات إلى الجبال للدفاع عن نفسها، وتخفيف وطأة الاستبداد الإقطاعي العثماني ومن قبله المملوكي[2]. ونرى أنّ معالم المجتمعات الطائفية المترابطة مع النظام العصبوي تبلورت في العهدين المملوكي والعثماني. وجاءت تطورات القرن التاسع عشر محدثة نهضة 'وإن تكن متعثرة' في عدد من مناحي الحياة. ومع انهيار الدولة العثمانية، حدثت نقلة من خط الجامعة الإسلامية ونظام الطوائف إلى خط الوطنية والقومية، وفق المفهوم البرجوازي الأوروبي للقومية المتداخل مع المفهوم الخلدوني[3] للعصبية. وفي الوقت نفسه لم تختف الأيديولوجيات السابقة، خصوصًا على المستوى الثقافي الشعبي وفي الأدب الشعبي والسير الشعبية، حيث طغت عليها الأيديولوجيا القبلية أو الإسلامية بمذاهبها المتعددة وطوائفها المتحفزة. وهذا يعني تداخل أيديولوجيات مختلفة وتعايشها وتصارعها مع مجيء مرحلة الانتداب.

من هنا ندرك أنّ انهيار الدولة العثمانية في عام 1918 كان حدثًا تاريخيًا مهمًا وخطوة اجتماعية إلى الأمام، حررت قوى وطنية جبارة من الفلاحين وجماهير المدن المضللة بشعارات الطبقة الحاكمة العثمانية واستغلالها الدين. ونشّط انهيار الدولة العثمانية الحركة الجماهيرية، وأكسب حركة الاستقلال العربي صفاء وقوة، كما قلب بالتدريج ميزان القوى داخل حركة التحرر الوطني العربية لمصلحة

(2) كانت هجرات البدو أحد منابع العشائرية، إذ أخذت تظهر من جديد عصبية قبلية أو عشائرية في البادية وعلى أطراف المعمورة في أماكن ترحال البدو وسيطرتهم.

(3) نسبة إلى ابن خلدون.

قوى التقدم والوطنية. وهذا ما ساهم في تقليص نفوذ الطائفية والعشائرية، مع بقائها واستعدادها للظهور في أي لحظة تحدث فيها خلخلة في بنية المجتمع.

يلاحظ أنّ عقدي أربعينيات القرن العشرين وخمسينياته في سورية اتصفا بتراجع الولاءات الطائفية والعشائرية لمصلحة الولاءات الوطنية والقومية. كما أنّ العلاقة بين الطائفية والعشائرية داخل منطقة معينة اتصفت بعاملين متضادين: التجاذب والتضامن، والتدافع والاقتتال. فالطائفة متحدة تجاه الجوار، لكن عشائرها تدخل في خصام يصل إلى استخدام السلاح. ولا يوجد على حدّ علمنا دراسة أنثروبولوجية لمجتمع الجبل العلوي ترصد عملية الانتقال من الحكم العثماني إلى حكم الانتداب الفرنسي، وعلاقة الطائفة بالعشيرة فالدولة[4].

إرهاصات النهضة العربية وتجلياتها في الجبل العلوي

- كان من اللافت أن تتصدر الغلاف الخارجي لمجلة النور (مجلة أدبية علمية روائية) الصادرة في اللاذقية في حزيران/ يونيو 1925، لصاحبيها نصر الله طليع وجاد كومين، العبارات التالية:

(4) نقدم هنا أنموذجًا لمنطقة تقع إلى الجنوب من الجبل العلوي، من خلال الدراسة الميدانية النظرية لفؤاد خليل، العشيرة: دولة المجتمع المحلي (عشائر جرد الهرمل) (بيروت: دار الفكر اللبناني، 1990)، إذ رصد الباحث مسار-تطوّر العشيرة في الجرد الهرملي في المرحلة الانتدابية وما بعد الاستقلال. إذ قام الانتداب بتجديد زعامة آل حمادة في الهرمل وتوطيد زعامة آل حيدر في بعلبك. ولهذا السبب قامت زعامات الدرجة الثانية بحمل لواء الوطنية ومقاومة الانتداب. ويذهب باحث آخر في دراسته الأنثروبولوجية عن عشائر الهرمل إلى أنّ مشاركة زعماء الدرجة الثانية في الثورة السورية في ما عرف بانتفاضة فيسان 1926، هي التشكيل العصبي في مواجهة الرسملة.

«رابطة المفكرين، مجال الأقلام الطليقة رمز النهضة الأدبية، نصيرة الحق، عضد الضعيف، نور ونار». ومع إصرار المجلة على أنها «في عزلة عن السياسة» إلّا أنها نشرت مقالتين بعنوان: «تطاحن الطبقات والاشتراكية»[5]. وهذه الظاهرة بحاجة إلى دراسة معمقة. مجلة تصدر في مدينة صغيرة شبه معزولة عن العالم تنشر في عام 1925 هاتين المقالتين. فهل اللاذقية وجبلها المعروف بالجبل العلوي ساهم أولياؤه في الإكثار من العجائب؟[6] أم هل أنّ التطور السائر بخطى وئيدة لم يقتصر على ظاهرة هاتين المقالتين، بل تعداهما إلى إنجاب أدباء وشعراء بارزين، بدأ نجمهم بالصعود في فترة مبكرة أمثال بدوي الجبل ونديم محمد وأدونيس؟

- شعراء الجبل

بدوي الجبل الشاعر الفذ، والنسر المحلق في عالم الأدب، والخطيب المفوه، والسياسي الذائع الصيت في أرجاء سورية، والمعروف بنزعته المسماة يمينية، كان له موقف يساري لافت في عام 1925. ففي 15 أيار/ مايو 1925، صدرت في بيروت صحيفة الإنسانية، تيمّنًا بصحيفة الأومانيته لسان حال الحزب الشيوعي الفرنسي. وكان صاحب الصحيفة ومحررها العلامة يوسف إبراهيم يزبك الذي كانت تربطه ببدوي الجبل صداقة.

---

(5) هاشم عثمان، الصحافة السورية: ماضيها وحاضرها: 2، الصحافة في اللاذقية، الدراسات الفكرية؛ 67 (دمشق: وزارة الثقافة، 2002)، ص 69.

(6) إذا كان للكرامات والعجائب، كما يعتقد قسم من البشر، شأن على المستوى الفردي من الصعب محاجته، فهذه الظاهرة في الكتابة عن «تطاحن الطبقات والاشتراكية» وهي كما نرى رجع الصدى لما كان يجري في أوروبا في عشرينيات القرن العشرين.

حملت صحيفة الإنسانية تحت اسمها العبارة التالية: «صحيفة أسبوعية أنشئت خصيصًا لخدمة العمال والفلاحين والمدافعة عن حقوقهم وتنظيم صفوفهم»، وحملت على يسارها شعارًا يزيد في تحديد هويتها: «للفقير على الغني وللعامل على الرأسمالي». ويعلو الاسم شعار ثانٍ: «اتحدوا أيّها العمال»، ووضع في أسفله عنوان يبسط إشارتها المميزة: «الإنسانية» هي جريدتك أيّها العامل فاقرأها وأعطها لغيرك ليقرأها». صدرت الصحيفة بمبادرة من حزب الشعب اللبناني، وهو الواجهة العلنية للحزب الشيوعي السري المؤسس حديثًا في عام 1924.

وصل العدد الثالث من صحيفة الإنسانية إلى بدوي الجبل. فبعث بالرسالة التالية إلى يوسف إبراهيم يزبك الذي نشرها في العدد الرابع من صحيفة الإنسانية بعنوان: «هدية للعمال من بدوي الجبل، عاطفة شريفة لشاعرنا المحبوب». وفي ما يلي نصّ رسالة بدوي الجبل[7]:

«أخي يوسف

حمل إليّ البريد جريدتك، وأنا في صهيون إحدى مدن الدولة العلوية، فسررت لعملك، وأكبرت غيرتك.

الرجاء أن ترسل لي نسخة واحدة، وأن تهدي أربع نسخ باسمي لمن تختارهم من العمال، واشتراكات الخمس نسخ سأرسلها حين رجوعي إلى البيت وذلك بعد مدة قليلة.

---

(7) محمد سليمان الأحمد [بدوي الجبل]، «هدية للعمال من بدوي الجبل، عاطفة شريفة لشاعرنا المحبوب،» صحيفة الإنسانية (بيروت)، العدد 4 (1925).

أول مرة أحيي الجرأة في هذه البلاد! أحيّيها بكلمتك: ولا نبالي بالمبادئ السياسية ولا الاجتماعية ولا الأدبية ولا الدينية على اختلاف نزعاتها، إذا كانت لا تهم العمال والفلاحين. فعشت يا يوسف، ولا فضّ فوك.

لا تؤاخذني على كتابي إليك بالقلم الرصاصي، فما ذلك إلا لمعذرة مشروعة، ولا سيما إني الآن من العمال، والعامل لا يتقيد بكل ما يسمونه آدابًا أو قوانين اجتماعية.

عاش العمال وعاشت صحيفة العمال: وعاش الناطق باسم صحيفة العمال. الناطق بالحق وبالثورة وبالدم!

بدوي الجبل».

رسالة بدوي الجبل هذه بحاجة إلى تقويم من مختص بالشاعر الكبير وبمساره السياسي المتعرج والمتناقض أحيانًا. وفي تقديرنا أنّ موقف بدوي الجبل هذا نابع من كونه ابن ريف عاش في بيئة غير متزمتة. ونقدّر أنّ موقفه هذا يعود إلى طموحه في تبنّي الحداثة.

أما نديم محمد الشاعر الذائع الصيت الذي بدأ نشر مقالاته منذ عام 1938 في مجلة صوت الحق بعنوان: «شبكة، هوامش، إصبع إبليس». وتبقى أشعار نديم محمد الموجّهة سهام نقدها اللاذع الساخر إلى الحكام، التي كانت الألسن تتداولها بشغف، خالدةً في ضمير تلك الأجيال[8].

بدأ أدونيس الكتابة على صفحات الإرشاد في عام 1948، وهو على مقاعد الدراسة. وانتسب إلى الحزب السوري القومي، ثم

(8) عثمان، ص 58.

احتلّ مكانة مرموقة في عالم الشعر في العالم العربي وعلى المستوى العالمي.

- في عام 1933 «اجتمع شيوخ المسلمين العلويين وزعماؤهم في قرية بيت الشيخ يونس، للبحث في أمور دينهم ودنياهم، واتخاذ خطط تقضي بتوحيد الكلمة وتنظيم الصف والقضاء على العشائرية البغيضة». وهذا ما جاء حرفيًا في مذكرات الدكتور عبد اللطيف اليونس. هذا الاجتماع الذي حضره «كبار زعماء العلويين وكبار شيوخهم وجمهرة من الشباب التوّاقين إلى التحرر والانعتاق» خرج بوثيقة إصلاح شاملة «تهدف إلى رفع مستوى الشعب وتوحيد صفه وإزالة الفوارق بين أبنائه». ويستدل من مذكرات اليونس على أنّ مبادئ الإصلاح لم تنفّذ، وحتى الاجتماع الثاني الذي قرر الاجتماع عقده في قرية قريفيص قرب بانياس، لم يعقد في السنة التالية. ويردّ اليونس سبب فشل الإصلاح إلى المستعمرين الذين «عمدوا لخلق زعامات جديدة تسير في ركابهم، وحاربوا الزعماء الذين يوجد عندهم إحساس وطني وشعور لا طائفي»[9].

لا شك في أنّ دور المستعمرين في تغذية المشاعر الطائفية والعشائرية أمر لا جدال فيه، تبرهن عليه السياسة الاستعمارية المتبعة. لكن الجانب الآخر من المشكلة المتمثّل بالعوامل الداخلية المرسّخة للمشاعر الطائفية والعشائرية يهملها معظم الباحثين، مكتفيًا بتسليط الضوء على العامل الخارجي ومهملًا أو متسترًا على العوامل الداخلية المسببة للتخلف أو المرسّخة له. وهذه ظاهرة من

(9) عبد اللطيف اليونس، مذكرات الدكتور عبد اللطيف اليونس، ط 2 (دمشق: مطابع مؤسسة الإسكان العسكرية، 1997)، ص 40.

مظاهر الهروب من المسؤولية، وإلقاء تبعات التخلف على العوامل الخارجية وتبرئة الداخل من كل إثم.

- بدأ التمرد على التقاليد يظهر في أوساط الأجيال الشابة من المشايخ، فغانم ياسين ابن الشيخ ياسين عبد اللطيف من بيت الشيخ يونس، كان من أوائل من لبس ربطة عنق، وأول من استخدم الشوكة والسكين في الطعام، وحارب الدجل والشعوذة والبدع الخرافية، وكان يجاهر بذلك ويتحدى. وحارب تقبيل الأيدي، صارخًا في وجه كل من ينحني لتقبيل يد. وأقرّ تعليم البنات الذي كان يُعدّ كفرًا. ولولا مكانة والده، لما سلم غانم ياسين من ذوي العقول المتحجرة، بعد اتهامه بالخروج على العادات والتقاليد، ولما قويت المعارضة في وجه الإصلاح، واشتدت، وبدأت السبل تضيق أمام المصلحين، فضّل غانم ياسين الهجرة إلى أميركا والالتحاق بأخيه حيث عملا معًا[10].

- في أول صيف 1936 جرى انقسام عنيف في الرأي؛ فئة تطالب بالوحدة السورية وأخرى تصرّ على بقاء الانفصال. وعُقد مؤتمر في طرطوس لم يصل إلى نتيجة. لكن المجابهة بين الفريقين قويت والهوة زادت اتساعًا وعمقًا[11].

عقد التيار المنادي بالوحدة السورية مؤتمرًا في طرطوس في 25 كانون الثاني/ يناير 1939، قرر فيه رفع مذكرة إلى السلطة الفرنسية تضمّنت البنود التالية: إنّ محافظة اللاذقية جزء لا يتجزأ

---

(10) اليونس، ص 42.

(11) المصدر نفسه، ص 46.

من سورية، تأييد المعاهدة المعقودة بين الكتلة الوطنية وفرنسا بشأن استقلال سورية، تأييد مقررات المجلس النيابي السوري في جلسة 31 تشرين الثاني/ نوفمبر 1938 بشأن انضمام محافظة اللاذقية إلى الجمهورية السورية[12].

- من أوائل رجالات النهضة في الجبل العلوي الشيخ سليمان الأحمد (1869-1942) يتحدّر من عشيرة النميلاتية المشهورة بكثرة المشايخ في صفوفها[13]. وهو من أشهر مشايخ العلويين، وقاضي قضاتهم. وكان فقيهًا وشاعرًا، وتخرّج على يده تلامذة كثيرون نبغوا في اللغة العربية والشعر. لم يكن معزولًا عن تطور الحياة، إذ اشترك في المجلات الأدبية مثل العرفان والهلال. ونشر بعض قصائده في مجلة العرفان الصادرة في صيدا. وقام بجولة مع الشيخ إبراهيم عبد اللطيف في صيدا وجبل عامل. وانتخب عضوًا في المجمع العلمي العربي في دمشق. وللشيخ سليمان الأحمد بحوث في المجالات الأدبية ومراسلات مع علماء النجف الأشرف والجامع الأزهر. ونشر كثيرًا من تلك المراسلات في الصحف. وأشعار الشيخ سليمان الأحمد تمتاز بالحكم، ومحاربة العادات المسيئة والتقاليد السخيفة. ويعلّق اليونس الذي ننقل عنه أنه «لم يكن من السهل أن ينبري شيخ متحرر في ذلك الوسط المتخلّف لمحاربة عادات اصطلح عليها،

(12) عثمان، ص 301.

(13) كانت العادة أنّ العشائر العلوية التي تفتقد إلى المشايخ في قراها أن تدعو شيخًا من عشيرة أخرى. وبسبب المكانة الرفيعة التي احتلها الشيخ سليمان الأحمد دعته عشيرة الكلبية للإقامة في قرية السلاطة إلى الغرب من القرداحة. وعند وفاته بنيت على ضريحه قبة فخمة يؤمها الزوار. انظر: خوندة، ص 150.

وتقاليد ورثها الخلف عن السلف [..] حتى أصبحت جزءًا من حياته ومن عقيدته أيضًا»[14].

بمبادرة من التيار الوطني في الساحل السوري أُقرّ في 14 تشرين الأول/ أكتوبر 1938 إقامة مهرجان أدبي ضخم تكريمًا للعلامة الشيخ سليمان الأحمد. وكان هذا اليوبيل الذهبي تعبيرًا عن الوحدة الوطنية السورية وتطلّعًا إلى الوحدة العربية. إذ أنشد طفلان من حلب نشيد الوحدة العربية، وأنشدت فرقة الكشاف النشيد السوري، وتتالى الخطباء من الأديان والمذاهب المختلفة: سنّة ومسيحيون وعلويون، ومن المناطق المختلفة. وفي ختام المهرجان نهض محافظ اللاذقية إحسان الجابري وتقدّم من المحتفى به قائلًا: إنّ هذه الحفلة هي قسط من دين لك على الأمّة العربية. ومعروف إعلان الشيخ سليمان الأحمد أنّه صرّح في أوائل عشرينيات القرن العشرين: «نحن العلويين مسلمون [..] كتابنا القرآن ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم، والكعبة قبلتنا والإسلام ديننا»[15].

كان في طليعة التيار النهضوي العربي في الجبل العلوي الدكتور وجيه محيي الدين الذي أظهر موقفه بوضوح في كلمته في اليوبيل الذهبي للعلامة الشيخ سليمان الأحمد في اللاذقية بتاريخ 14 تشرين الأول/ أكتوبر 1938، التي جاء فيها «[...] فالشباب المسلم العلوي يريد أن تنصهر العشائر والأحزاب في بوتقة الوطنية الجامعة [..] فلا يبقى صوت إلا صوت العروبة [..] ولا دين إلا دين المحبة والتضامن [..]. نحن نريد أن تتحطم هذه الحواجز العشائرية

(14) اليونس، ص 66.

(15) المصدر نفسه، ص 72.

السخيفة، ويشيّد على أنقاضها صرح منيع لحزب منسجم الآراء، متحد الأفكار، متآخي النزعات»[16].

أصدر النهضوي الدكتور وجيه محيي الدين في تشرين الثاني/ نوفمبر 1937، مجلة **النهضة** في طرطوس: «مجلة شهرية تبحث في الأدب والاجتماع». وأوكلت إدارتها إلى حامد حسن. كانت غاية المجلة «إظهار ما دفن من نبوغ وعبقرية الشعب العلوي الإسلامي، وتقديمه للأمة العربية الكريمة بشكله الحقيقي، لا كما صوّره ذوو الأغراض تعمدًا منهم أو وهمًا، وتقوية معنويات شبابه، وتشجيعهم للظهور والخروج من عزلتهم، وإرسال ما يختلج في صدورهم من عاطفة وشعور». أمّا مبدأ المجلة فتمثّل في «الكفاح ضد الرجعية، ونبذ الطائفية الممقوتة، والسير وراء المجد والسؤدد بتضامن وإخلاص، وبث روح التآلف والإخاء بين مختلف أبناء هذا الشعب، فتكون هذه الصحيفة منبرًا يتبارى عليه كل من أعطاه الله نصيبًا وافرًا من حسن الذوق الأدبي، والثقافة العالية، والتضحية في سبيل المثل العليا»[17].

بعد مرور سنة على صدور **النهضة** توفي صاحبها وجيه محيي الدين، فخلفه أخوه محيي الدين محيي الدين في إصدار المجلة بمعونة الأديب والمحامي زاهي عرنوق. وفي العدد الثاني من السنة الثانية (أيار/ مايو 1939)، الذي صدر بعد وفاة مؤسس **النهضة**، نقرأ في الصفحة الأولى: «النهضة مجلة أدبية، علمية، اجتماعية، فهي لا تنشر من المواضيع السياسية إلّا ما كان ذا فائدة علمية أو

---

(16) اليونس، ص 82.

(17) المصدر نفسه، ص 82.

تاريخية أو اجتماعية، وتهمل كل موضوع يمس بالعقائد والأديان، أو يتنافى مع الآداب والأخلاق، أو يتعرض للأشخاص والأحزاب والملل»[18].

- نشر عبد اللطيف اليونس في مجلة المكشوف مقالة نعى فيها على الشباب المسلم العلوي ركوده وجموده وقعوده عن الدعوة للإصلاح، والعمل على التحرر من ربقة العشائرية والرجعية والإقطاعية[19]. ثمّ بدأ ينشر مقالاته في عدد من الصحف في اللاذقية وحمص وحماة، ويشنّ «حملات عنيفة على الرجعية والإقطاعية والتعصب العشائري البغيض»[20]، لكن الرجعية وأنصارها حملوا عمه على الوقوف ضده. ويذكر اليونس أنّ وقوف الرجعية والإقطاعية ضده «وصلت حدّ العنف الشرس... فاضطر لمغادرة قريته والالتجاء إلى أحد أقربائه في طرابلس»[21].

- تجاذب اللاذقية وجبلها تياران متضادان، مثّل التيار الأول أنصار الانتداب الفرنسي من الدماشقة ومن أنصاره في الساحل، ومثّل التيار الثاني المعارضون للانتداب من رجالات الكتلة الوطنية التي قادت النضال الوطني وقطفت ثمار الاستقلال. ومع نمو الوعي الوطني في منتصف ثلاثينيات القرن العشرين احتدم الصراع بين الراغبين في «الاستقلال» عن الداخل وأنصار الوحدة مع سورية وعاصمتها دمشق.

(18) عثمان، ص 83.

(19) اليونس، ص 44.

(20) المصدر نفسه، ص 48.

(21) المصدر نفسه، مذكرات الدكتور عبد اللطيف اليونس.

أصداء التيار الأول نجدها في اللاذقية، في ما كتبته صحيفة **الصاعقة** في 27 كانون الأول/ ديسمبر 1941، في معرض تنظيم «مهرجان يوم الفقير في اللاذقية»، فقالت «هذا المهرجان تحييه روح الرئيس، وتذكيه رعاية المحافظ». والمقصود بالرئيس «فخامة رئيس الجمهورية السورية الشيخ تاج الدين الحسني - حفظه الله ووفقه ورعاه - وهو أول من فكر في ضرورة حماية الفقراء والمساكين والمستورين [...]». أمّا المحافظ فهو معالي شوكت العباس ومعه سعادة مدير الداخلية السيد علي الكنج. وآل العباس هم أكبر عائلة إقطاعية في صافيتا، والكنج هي العائلة الإقطاعية في جبلة[22]. والشيخ تاج الذي أتقن الفن الديماغوجي والسير في خطى الانتداب الفرنسي، عيّن يوم 22 كانون الأول/ ديسمبر ليكون «يوم الفقير» في جميع أنحاء البلاد السورية، وهدفه كسب الفقراء إلى جانبه، للوقوف في وجه التيار الجارف للكتلة الوطنية التي أولت اهتمامًا خاصًا لمحافظة اللاذقية وتعقيداتها، بما تحويه من قضايا ومشكلات كان الاستعمار الفرنسي يستغلها إلى أبعد الحدود.

- في تموز/ يوليو 1944 أصدر النائبان علي هارون وجمال علي أديب صحيفة **الوعي القومي**، وهي صحيفة عربية سياسية يومية حرة، وعيّنا الدكتور رياض رويحة مديرًا لها. ولم تكن الصحيفة بعيدة عن الحكم الوطني الغض الإهاب في دمشق. ونتوقف عند المحطات التالية:

---

(22) قارن مواقف إبراهيم الكنج في جبلة وجابر العباس في صافيتا بصفتهما قمة الهرم الإقطاعي العشائري (العلوي)، وما أوردناه في حاشية سابقة (هامش رقم 4) عن ظاهرة العشيرة بوصفها دولة التشكل العصبوي في جرود الهرمل.

سارت الصحيفة منذ عددها الأول تحت عباءة الحكم المركزي في دمشق. إذ صدرت، كما كتبت عن نفسها، «في مطلع العهد الذي اشترته الأمّة بالدماء والتضحيات والآلام، وفي ظلّ شكري القوتلي العظيم الذي مسح بيده على رأس هذه الأمّة فجرت يده حرية واستقلالًا ووحدة واتحادًا ومحبة وإخاءً وخصبًا ونماءً»[23]. ومع أنّ شخصنة الحركة الوطنية والأمّة في فرد يفجر الاستقلال ويمنح النماء أمر برز في ما بعد لدى الحكام العرب بصورة واضحة وخطرة، إلّا أنّ ظروف طرح هذا الأمر في اللاذقية وجبلها له ما يبرره في ظل الدعوة إلى الوحدة الوطنية، وإنشاء الدولة المركزية، ودفن المشاعر الانفصالية.

يمثّل صاحبا المجلة عائلتين من كبار الملّاك في اللاذقية وجبلة. وعلى الرغم من أنّ «العائلات الإقطاعية» سارت بأكثريتها في خط الانتداب الفرنسي الذي رسّخ ملكيتها الأرض التي استولت عليها في آخر العهد العثماني وطوال عهد الانتداب، فإنّ بعض كبار الملّاك وقف في وجه الانتداب، أو على الأقل لم يعلن النفير العام ضده. ويلاحظ أنّ بعض عائلات كبار الملّاك في اللاذقية رفع راية الكتلة الوطنية، وكان عمودها الفقري في الساحل، من دون أن يقطع خيوط الاتصال مع أجهزة الانتداب الفرنسي.

الصفحة الأولى من الصحيفة تصدرتها كلمة بعنوان: «أيّها المواطن العربي في دنيا العروبة». والهدف «بث الوعي القومي في أبناء هذا الشعب»، و«القومية العربية عقيدتنا الشاملة»، و«العنصر

---

(23) عثمان، ص 109.

الأول في قوميتنا العربية الواعية يقوم على الوحدة العربية، وليندمج هذا الوطن تحت لواء واحد»، و«إنّ الطائفية لا تدخل في برنامجنا، فالدين لله والوطن للجميع، وكلنا صفوف متراصة في خدمة هذه البلاد الغالية»[24].

– في عام 1944 زار شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية محافظة اللاذقية، وجرت له استقبالات رسمية وشعبية حافلة، بدأت من مصياف وانتهت في تلكلخ. وفي رأس الخشوفة أقام يوسف الحامد سرداقًا ضخمًا عند مدخل القرية. وألقى الشيخ عبد اللطيف إبراهيم قصيدة جاء فيها:[25]

هذي الجبال أساور عربية صدئت وأغفلت الشآم صقالها

حسمت هذه الزيارة والاستقبالات الشعبية التي رحبت برئيس الجمهورية أمر الجبل العلوي في اعتماده جزءًا من «الوطن السوري العربي». وأخذت المشاعر الوطنية تتسارع مكتسحة أفئدة الجماهير، خصوصًا الفئات المتعلمة منها.

– في عام 1944 ألّف عبد اللطيف اليونس كتابًا بعنوان **الجبل المريض**، ويقصد الجبل العلوي، وهو مجموعة فصول عن أحوال العلويين وما هم عليه من فقر وجهل وتأخر وجمود وعبودية عمياء للإقطاعيين والرجعيين وتفرقة عشائرية بغيضة، يغذيها الإقطاعيون وذوو النفوس المريضة. وجاء فيه: «كان الزعماء العشائريون في قبضة السلطات الحاكمة [...] وبواسطة هؤلاء يسيطر المستعمرون

(24) عثمان، ص 111 وما يليها.
(25) اليونس، ص 182.

على الشعب المستعبد المضطهد المسحوق»[26]. ولم يقدر للكتاب الانتشار بسبب ظروف الحرب.

المعروف أنّ عبد اللطيف اليونس، مع عدد من النهضويين في الساحل، كان من الساعين لدفع الطائفة العلوية في اتجاه الوطنية السورية والعربية، ومن ثمّ دمج الطائفة في بوتقة الوطنية السورية ذات الأرضية العربية. وكان اليونس في طليعة رجال النهضة في الجبل العلوي، وتميّز من غيره بأنّه استند إلى خلفية مشيخية، وحاول أن يسخّرها للأهداف النهضوية، حيث دعا في برنامجه الانتخابي إلى صيانة الاستقلال والنظام الجمهوري ومحاربة الإقطاعية والرجعية وتحرير العامل والفلاح ومنع الفوارق الاجتماعية ومنع الإتاوات والجعالات والرشاوى ووقف ضد الفريقة السنوية، وغير السنوية التي يجبيها الزعماء من أتباعهم [..] كما دعا إلى حماية المصنوعات الوطنية وتعميم المدارس وتعبيد الطرق ومساعدة الفقير أيًا كان. وكان هذا البرنامج الانتخابي دليلًا على أنّ عوامل جديدة بدأت تدخل الأرياف السورية، خصوصًا المتقدمة منها مثل منطقة صافيتا[27].

- في مطلع 1945، بدأ عبد اللطيف اليونس يهيئ للاحتفال بتكريم الشيخ صالح العلي، قائد الثورة المعروفة باسمه في الجبل العلوي بين عامي 1918 و1922. وكانت هذه المبادرة من المثقف الوطني (العلوي) تصب في تيار جهد الحكومة الوطنية في دمشق الساعية إلى توحيد البلاد فكريًا وسياسيًا واقتصاديًا.

---

(26) اليونس، ص 182.

(27) المصدر نفسه، ص 247-261.

وفي المقابل كانت قوى ذات شأن تعارض حفل التكريم وتسعى لإلغائه. إنه الصراع بين تيارين: وطني وحدوي (سوري) وإقليمي يريد بقاء الجبل العلوي في عزلة عن أمّه سورية. أمّا الوجه الآخر فيتمثّل بالمنافسة العشائرية بين العشائر التي سارت أيام الثورة مع صالح العلي (بدوافع عشائرية) وزعماء العشائر الذين وقفوا ضد حركة الشيخ صالح العلي بدوافع عشائرية أيضًا، واستشفافهم أنّ المرحلة المقبلة هي مرحلة فرنسا المنتصرة في الحرب العالمية الأولى.

استمرت حفلة تكريم الشيخ صالح العلي في 17 نيسان/ أبريل 1945 خمس ساعات، توالى فيها الخطباء من المدن السورية واللبنانية المختلفة. وقدّم محافظ اللاذقية الأمير مصطفى الشهابي للشيخ المحتفى به «وسام الاستحقاق السوري الرفيع الذي منحه إيّاه رئيس الجمهورية السورية، وعلقه على صدره وسط هتاف عال وتصفيق حاد من الجموع المحتشدة في حفلة التكريم، والتي ضمت جمهورًا وطنيًا من مختلف الطوائف والأديان»[28].

- في عام 1947 ألّف اليونس كتابًا بعنوان: **الثورة العلوية - وقائدها المجاهد الكبير الشيخ صالح العلي**. وفي الطبعة الثانية كان الكتاب بعنوان مغاير: **ثورة الشيخ صالح العلي**، فاليونس لا يريد أن تحتل الطائفية واجهة التاريخ كما ذكر في الطبعة الثانية. وتاريخ اليونس عن صالح العلي مسبوك في قالب إنشائي، ويعجّ بالخيال الخصب، وكأننا نعيش حروب عنترة وبني هلال.

(28) اليونس، ص 195-207.

- من انطباعات مدرس التاريخ زهير ناجي القادم من دمشق للتدريس في ثانوية جبلة من أيلول/ سبتمبر 1953 حتى حزيران/ يونيو 1955، ما يلي[29]:

• أهل جبلة طيبون ومنفتحون ويحبون الغريب ومتعطشون للمعرفة. والمتزمتون قلة. وكان أهل المدينة آنذاك لا ينظرون بعين الاحترام إلى أهل الريف[30].

• كان سماسرة السعودية يأتون لشراء البنات من الريف. وهذا ما أثار المدرس زهير، وكان يحرّض الطلاب على أولئك النخاسين.

• أساتذة إعدادية جبلة أغلبهم أبناء مشايخ علويين. وكان مما يثير حفيظة المدرس زهير تقبيل الفلاحين القادمين من الريف للاستفسار عن أبنائهم، أيدي الأساتذة كونهم أبناء مشايخ، مع العلم أنّ الفلاح متقدّم على الأستاذ في السن.

• كان ثمة تسابق بين البعثيين والسوريين القوميين على افتتاح المدارس الخاصة في ريف جبلة. وكان الفقراء يرون في التعليم الطريق للتغلب على البؤس.

---

(29) زهير ناجي، مقابلة شخصية، دمشق، 12 كانون الثاني/ يناير 2006.

(30) هذه ظاهرة عامة كانت معروفة في سائر الأنحاء. فالفلاح القادم إلى المدينة كان يُنظر إليه نظرة ازدراء واحتقار. ونشير هنا إلى رواية سمر يزبك، صلصال (بيروت: دار الكنوز الأدبية، 2005)، التي تعكس بصورة صادقة الوضع الاجتماعي السياسي في النصف الثاني من القرن العشرين. كتبت سمر: «كان البشر في مناطق الساحل المحصورة بين البحر والجبال يخشون نزول المدن ويتهيبون لقاء أهلها، خوفًا من الضرب والقتل». والواقع إنّ العلاقة بين سكان المدن والأرياف أخذت تتبدل لمصلحة الأرياف بداية من خمسينيات القرن المنصرم.

- آخر أربعينيات القرن العشرين أسست مجموعة من الشبان العلويين المتعلمين في أرياف طرطوس وبانياس ما أسموه «حزب الإصلاح الريفي». ومع الأسف فإنّ المعلومات عن هذا الحزب شحيحة. وتفرّع هذا «الحزب» الذي على ما يبدو لم يعمّر طويلًا في ثلاثة مسارب: مسرب ديني (محمود علي كامل)، ومسرب قومي عربي (نجم الدين صالح)، ومسرب ذو توجه ماركسي ضمّ أحمد سليمان الأحمد وصلاح أحمد الذي انتسب إلى الحزب الشيوعي في عام 1955، عند تحضيره الدكتوراه في الرياضيات في فرنسا. وسنرى أنّ «صلاح أحمد ترشح للمجلس النيابي كما ورد في ذكريات دانيال نعمة. والشخص الثالث الذي سار قدمًا باتجاه الماركسية هو حبيب حسن الذي سيصبح في الخمسينيات وبداية الستينيات من القرن العشرين مناضلًا شيوعيًا صادقًا بين جماهير الفلاحين»[31].

- مقولة إقامة دولة علوية ينفيها الاندماج السريع في المجتمع السوري المتكوّن في عهدي الانتداب والاستقلال.

- بعنوان «مشروع الدولة العلوية» نشرت صحيفة النهار بتاريخ 23 تشرين الأول/ أكتوبر 2011، وثيقة مرسلة إلى وزارة الخارجية الفرنسية بتاريخ 15 حزيران/ يونيو 1936، وموقعة من ستة من

---

(31) قدم لنا هذه المعلومات يونس صالح شقيق صلاح أحمد وأسماء صالح وهي شيوعية ناشطة في دمشق. ويذكر يونس أنّ عائلته انتقلت إلى دمشق في عام 1949، وهو لا يزال طفلًا من مواليد عام 1940. وانتسب يونس إلى الحزب الشيوعي في دمشق وعمره 16 سنة، واعتقل الشاب يونس في تموز/ يوليو 1959، وألقي به في سجن المزة من دون محاكمة. وبعد قيام الانفصال أطلق سراحه. وأصبح يونس بعد خروجه من السجن ودراسته في موسكو من كوادر الحزب الشيوعي النشطة. جرى اللقاء مع يونس في دمشق بتاريخ 17 آب/ أغسطس 2006.

زعماء العلويين، يطالبون الحكومة الفرنسية بعدم ضمّ بلاد العلويين إلى الوحدة السورية في المعاهدة المزمع عقدها مع وفد الكتلة الوطنية المفاوض في باريس. والموقّعون هم: عزيز آغا الهواش ومحمود آغا جديد ومحمد بك جنيد وسلمان أسد وسلمان المرشد ومحمد سليمان الأحمد (بدوي الجبل). وهنا لا بدّ من الإشارة إلى النقاط التالية:

هذه الأسماء لا تمثّل جميع العلويين بل قسمًا منهم، إذ إنّ القسم الآخر كان مع الوحدة السورية. وعقد هؤلاء في حزيران/ يونيو 1936 مؤتمرًا لهم في القرداحة نادى بالوحدة السورية. وقامت صحيفة القبس الدمشقية بنشر مقررات مؤتمر القرداحة[32]. وهذا يعني أنّ العلويين لم يكونوا جميعًا ضد الاندماج في الوحدة السورية.

لم يكن الموقعون في عداء شديد للوحدة السورية المطروحة على بساط البحث في صيف 1936. فعزيز الهواش زعيم عشيرة المتاورة تعاون بعد شهور عدة مع حكومة الكتلة الوطنية في دمشق. وسلمان أسد كان في عداد الوفد العلوي الذي استقبل في حلب وفد الكتلة الوطنية المفاوض في باريس (أسماء الوفد العلوي المشارك في استقبال الوفد منشورة في صحيفة القبس الكتلوية). وبدوي الجبل المعروف بمواقفه المتنوعة والمتناقضة أحيانًا جاب شعره معظم أصقاع العالم العربي، وله في تمجيد عاصمة الأمويين دمشق قصائد عدة، وصلاته بالحزب الوطني، وانتخابه أكثر من مرة في المجلس النيابي السوري أمر معروف. وسلمان المرشد ترشح في

(32) القبس (سورية)، 16/ 6/ 1936.

خريف 1936 لانتخابات المجلس النيابي، ونجح وشارك في جميع جلسات البرلمان في دمشق بدليل موافقته على الوحدة السورية.

من هنا يتبيّن أنّ مشروع الدولة العلوية لم يكن راسخًا في أذهان أكثرية العلويين، ولم تكن مقومات وجوده متوافرة، بدليل الاندماج السياسي والاقتصادي والاجتماعي السريع والعميق لبلاد العلويين في الجسم السوري الناشئ.

نظر موقّعو الوثيقة المذكورة إلى الوحدة مع سورية على أنّها استمرار للدولة العثمانية التي لاقى العلويون منها ألوانًا من القهر والاضطهاد، يفوق ما لاقته المناطق الأخرى. ولم يدرك هؤلاء أنّ الكتلة الوطنية قائدة النضال الوطني المناهض للانتداب الفرنسي، تتبنى مبادئ النهضة العربية، وتنادي بالمساواة في المواطنة بين جميع الطوائف والمذاهب. وهكذا فإنّ مخاوفهم لم تكن في محلها، بسبب نقص المعلومات وانعزال المناطق بعضها عن بعض، إضافة إلى طموحاتهم الشخصية والمحافظة على وجاهتهم من أي طريق.

لم يكن لسكان الجبل العلوي أي صلة اقتصادية مع ولايتيْ الشام وحلب في العهد العثماني، وكان الداخل السوري بالنسبة إليهم بلدًا غريبًا لا علاقة لهم به. ومعروف أنّ الجبل العلوي كان تابعًا لولاية بيروت، ويعيش في ظلّ اقتصاد طبيعي معزول، ولم ير من الدولة العثمانية إلّا سياط جباتها واضطهاد الأعيان الذين استولوا على الأراضي السهلية، وحولوها إلى إقطاعات يعمل في قسم كبير منها الفلاحون العلويون إلى جانب فلاحي الطوائف الأخرى. وكان مما يحزّ في نفوس الفلاحين العلويين أنهم لم يعاملوا معاملة الفلاحين المحاصصين الآخرين، بل مُورِس عليهم اضطهاد يفوق

أضعاف ما لاقاه الفلاحون الآخرون. وكان الإقطاعيون (الآغا أو البيك أو الأفندي) يعاملون القرى العلوية التابعة لهم كأنها بلاد مفتوحة مستباحة لهم. وهذه المعاملة التي لمسها كاتب هذه الأسطر في أثناء دراساته الميدانية في الأرياف السورية أدخلت في أعماق الفلاح العلوي الخوف، وجعلته حذرًا من الجميع، من دون تمييز بين إقطاعي مستثمِر مضطهد وإنسان عادي يرى أنّ «الخلق كلّهم عيال الله». وانطلاقًا من هذه المواقف العثمانية المضطهدة للعلويين علينا أن ننظر إلى موقفهم أو موقف قسم منهم من عملية الاندماج في الوحدة السورية.

- كان من أسباب تقوقع العلويين وانعزالهم، عدا الاضطهاد العثماني، طبيعة النظام الزراعي الفلاحي وانعدام الطبقة التجارية في ديارهم. ويتبيّن ذلك من إحصاءات الدليل السوري الصادر في عام 1922 الذي جاء فيه أنّ التجّار في أراضي العلويين «كانوا في حالة ضعف وعدم قدرة على القيام بنشاط اقتصادي مؤثّر». وأدّى عدم تكوُّن طبقة تجارية عميقة الجذور في الساحل السوري، وعدم قيام مدن «تجارية - حرفية» إلى تأخّر ظهور حركة سياسية موحدة، تطالب بسوق اقتصادية موحدة كما هي حال البرجوازية التجارية في دمشق وحلب. وعلى الرغم من جهد المثقفين العلويين التنويريين، فإن هذا الأمر أدى إلى ضعف الحركة النهضوية؛ فالجبل العلوي اتصف، شأنه شأن المناطق الريفية الأخرى، بتأخّر قيام النهضة في ربوعه جراء عدم وجود مراكز حضارية مدينية فيه. فالمدن كانت أشبه بالبلدات، واحتلّ الاقتصاد الطبيعي حيّزًا واسعًا من حياة المجتمع القائم على الزراعة والرعي.

- خلافًا لما هو شائع سارت الأكثرية العلوية مع الوحدة السورية. وظهر منذ أول صيف 1936 انقسام عنيف في الرأي بين فئة تطالب بالوحدة السورية، وأخرى تصرّ على بقاء الانفصال. وعُقد مؤتمر في طرطوس لم يصل إلى نتيجة، لكن المجابهة بين الفريقين قويت، والهوة ازدادت اتساعًا وعمقًا.

شكّل التيار المنادي بانضمام الجبل العلوي إلى الوحدة السورية وفدًا مؤلفًا من العلويين والسنّة والمسيحيين زار دمشق، واستُقبل فيها استقبالًا حافلًا، ونشرت الصحف الوطنية أخبار تحركات هذا الوفد بالعنوانين التاليين: «وفد زعماء البلاد العلوية في دمشق»، و«الكتلة الوطنية وزعماء البلاد يحتفلون بالوفد العلوي احتفالًا عظيمًا».

عقد هذا التيار مؤتمرًا في طرطوس في 25/ 1/ 1939، قرر فيه رفع مذكرة إلى السلطة الفرنسية تضمنت النقاط التالية: إنّ محافظة اللاذقية جزء لا يتجزأ من سورية. تأييد المعاهدة المعقودة بين الكتلة الوطنية وفرنسا في شأن استقلال سورية. تأييد مقررات المجلس النيابي السوري في جلسة 31/ 11/ 1938 في شأن انضمام محافظة اللاذقية إلى الجمهورية السورية.

من خلال تتبع الحوادث يتبيّن بوضوح أنّ العلويين، بأكثريتهم، لم يسعوا إلى الدولة العلوية المستقلة عن الداخل، ولم يرفعوا السلاح في وجه عاصمة بني أمية التي حظيت بنصيب وافر من شعر بدوي الجبل[33]. ودولة العلويين التي أقامها الانتداب الفرنسي

(33) نذكر بيت شعر من قصيدة لبدوي الجبل يمدح فيها دمشق: بنت مروان اصطفاها ربُها لا يشاء الله إلّا ما تشاء.

لم تكن دولة العلويين، بل كانت أداة في يد الحاكم الفرنسي. وضمّ المجلس التمثيلي لهذه الدولة العلويين والمسيحيين والسنّة والإسماعيليين. والكتلة الوطنية بمنطلقاتها النهضوية وعزيمتها كان لها شأن في توحيد البلاد وقيام الجمهورية السورية.

- الأحزاب العلمانية

• الحزب السوري القومي الاجتماعي: كان منتشرًا في كثير من مناطق الجبل. وما لمسناه وسمعناه في أثناء الجولة الميدانية في عام 1984، هو اندفاع قسم كبير من أبناء مشايخ العلويين ورؤسائهم للانضمام إلى الحزب السوري القومي الاجتماعي. ذكر لنا علي هلال، من رأس الخشوفة بالقرب من صافيتا، أنّ أول حزب ظهر في المنطقة في عام 1936، هو الحزب السوري القومي الذي كان الناس يظنون أنه ضد الإقطاعية «وإذا بأولاد المشايخ والأفندية[34] يدخلون في الحزب». وظاهرة انضمام عدد كبير من أبناء مشايخ العلويين ورؤسائهم إلى الحزب السوري القومي، ثمّ تحوّل قسم منه في اتجاه حزب البعث العربي الاشتراكي بعد وصوله إلى السلطة في الثامن من آذار/ مارس 1963، ظاهرة في حاجة إلى دراسة جريئة وصريحة ولا تتردد في اقتحام المحرمات.

كما سمعنا من مصادر عدة أنّ أحد أسباب انتشار القوميين السوريين في الساحل وجباله هو «مصلحة الريجي». فهذه المؤسسة كانت تضمّ عددًا كبيرًا من القوميين السوريين الذين يقومون بعملية

---

(34) المقصود بالأفندية هنا هم ملّاك الأرض من رؤساء العلويين الذين لا يعملون في الأرض ويشغّلون الفلاحين وفق مبدأ المحاصصة.

تخمين الدخان (التبغ). ولهذا قام قسم من زارعي التبغ بمصانعة موظفي الريجي كي يخففوا الأعباء المالية عنهم. والمصانعة تعني هنا الانتساب إلى الحزب السوري القومي الاجتماعي. لكنّ ذلك لم يكن يعني أنّ الجميع دخلوا بسبب المصلحة. فكثيرون دخلوا الحزب عن قناعة وإيمان بمبادئه.

انتشر الحزب السوري القومي في ريف جبلة بفضل شابين من عائلتين معروفتين هما[35]:

* جميل مخلوف معلم الابتدائي المولود في عام 1920، وكان عفيفًا صادقًا في معتقده، أصوليًا في الفكر القومي الاجتماعي، بحسب شهادة الأستاذ جهاد جديد. وعندما طلب حاكم سورية أديب الشيشكلي من الموظفين حلف يمين الولاء للنظام، رفض جميل حلف اليمين انسجامًا مع مبادئه، فسرّح من التعليم وبقي بلا عمل وعاش في فقر. وبعد جريمة قتل معاون رئيس الأركان

(35) ما سنورده عن انتشار الحزب السوري القومي الاجتماعي في منطقة جبلة واللاذقية مستقى من مقابلة مع مدرس اللغة العربية جهاد جديد من مواليد ريف جبلة 1938. حاز الشهادة الثانوية في عام 1957 والإجازة في اللغة العربية من الجامعة السورية في عام 1963. وفي أثناء دراسته الجامعية كان يدرّس في مدرسة سيف الدولة الخاصة في عين التينة. وبعد التخرج عيُّن مدرسًا للغة العربية في ثانوية جبلة حتى إحالته على التقاعد. انتسب إلى الحزب السوري القومي على يد أخيه عبد الكريم. وعندما بلغ من العمر عتيًا ترك الحزب، وهو ينشط الآن [2005] في الشأن العام ورئيس جمعية العاديات في جبلة. ترشّح لانتخابات مجلس الشعب عن حصص المستقلين، وكان كما قال «مرشح الذين هجروا أحزابهم»، ومثّل حالة جمعت أحزاب المعارضة المستاءة من الفساد واحتكار السلطة. فكان مرشحًا مقاومًا لحالة الخضوع والاستسلام المنتشرة مع جائحة البترودولار ورنين سلفه الأصفر الرنّان. جرت المقابلة في بيته في جبلة بتاريخ 5 حزيران/ يونيو 2005.

عدنان المالكي، واتهام الحزب السوري القومي بالتخطيط للجريمة وتنفيذها، لوحق جميل مخلوف، فالتجأ إلى لبنان رافضًا هناك أي امتياز. وكان لجميل مخلوف شأن مهم في نشر «الفكر القومي الاجتماعي» في ريف جبلة وجواره. واستند جميل إلى عائلته القاطنة في بستان الباشا وسلورين[36]، واستطاع أن يضمّ إلى الحزب السوري القومي أعدادًا من الشبان وفي مقدمهم أقرباؤه من آل مخلوف. وجاء زمن في أوائل خمسينيات القرن العشرين، أطلق فيه على بستان الباشا اسم «بستان سعادة» تعبيرًا عن اعتناق أكثرية القرية، وهم من آل مخلوف، مبادئ أنطون سعادة.

* فاضل الكنج وهو مثل جميل من مؤسسي الحزب القومي الاجتماعي. وهو ابن أخ إبراهيم الكنج، الزعيم العلوي المشهور، ورئيس عشيرة الحدادين من بني علي في ريف جبلة. وتميّز فاضل بخروجه على الولاء العشائري، ودعوته الخالصة للفكر القومي الاجتماعي العلماني المناهض للعشائرية والطائفية. وهو أيضًا أصولي في الفكر القومي الاجتماعي «عفيف سياسيًا وماديًا وعاش في ظلم» بحسب تقويم جهاد جديد له. نافس فاضل الكنج في الانتخابات قريبيه شفيق إبراهيم الكنج وبهجت حسن نصور. ومع أنّ النجاح لم يحالفه في معركته الانتخابية، إلّا أنّ دخوله المعركة الانتخابية دلّ على أمرين: أوّلهما رغبة أبناء الدرجة الثانية في العشيرة في الوصول إلى القمة، وهذه الظاهرة نجدها في أماكن كثيرة

(36) آل مخلوف هم من عشيرة الحدادين، لكنهم سكنوا مع عشيرة الكلبية. وكان يطلق عليهم لقب العتيرية مفردها عتيري، وهو الرجل الشجاع القوي البأس. انظر: خوندة، ص 192.

في الجبل العلوي وفي نطاق سورية، وثانيهما خروج الصادقين في العقيدة من الأحزاب العقائدية العلمانية (الشيوعي والبعث والسوري القومي) على تقاليد العشيرة وأعرافها، وسعيهم إلى نشر فكر جديد داع إلى الوحدة الوطنية، وهو على طرفي نقيض مع الفكر العشائري أو الطائفي.

زار أنطون سعادة اللاذقية، وحلّ ضيفًا على عبد الغني أسرب وابنه عبد القادر[37]. وكان ممن زاره وحاوره الشيخ العلوي عبد الرحمن الخيّر الذي سار مع الحزب السوري القومي لفترة محدودة. ولم يكن الحزب السوري القومي قويًا في مدينة اللاذقية، ومن أبرز وجوهه فؤاد الشواف، وهو ميسور، ومن ملّاك الأرض، وخاض الانتخابات باسم الحزب من دون أن يحالفه النجاح.

يلاحظ أنّ انتشار الحزب السوري القومي كان بارزًا بين المسيحيين والعلويين، ولم يحقق حضورًا ملحوظًا في أوساط السنّة، بسبب علمانية الحزب، ووقوفه موقفًا ملتبسًا من العروبة المتداخلة مع الإسلام.

• حزب البعث العربي الاشتراكي: كان لوهيب الغانم أثر فاعل وواضح في نشر أفكار البعث بين العلويين بالدرجة الأولى، وجزء من شبان سنّة المدن وعدد من المسيحيين. إذ استطاع الطبيب والأديب المثقف والمتفهم دور الإسلام في المجتمع، أن يرسّخ جذور حزب

(37) وجوه القوميين السوريين في مدينة اللاذقية إضافة إلى فؤاد الشواف، وأديب عازار، المحامي عيسى سلامة من مرمريتا، وهي أحد معاقل السوريين القوميين. كما كان من قادة الحزب في الحفة المحامي عبد العزيز أرناؤوط الذي ترك الحزب بعد مدة وجيزة.

علماني بعيدًا عن الطوائف والعشائر؛ حزب يدعو إلى وحدة الأمة العربية في جميع أقطارها وجميع أديانها ومذاهبها وطوائفها وقبائلها. ويلاحظ أنّ الغانم المولود في انطاكية دخل باب السياسة في الجبل العلوي وهو لا ينتمي إلى عشيرة من عشائر الجبل، معتمدًا على علويته بالولادة، وعلى علمه ومهنته الطبية، وشخصيته الفذّة، وأفكار الحزب الذي يدعو إليه. ويرى جهاد جديد أنّ «وهيب الغانم كان أهم قائد سياسي مرّ على الساحل خلال القرن العشرين»[38].

قبل تأسيس حزب البعث، وفي أجواء النهوض الوطني والقومي، قام طالب الطب وهيب الغانم، في صيف 1943، بمسيرة شبه أسطورية برفقة أحد أصدقائه استمرت ثلاثة شهور، متنقلًا بين قرى الجبل العلوي سيرًا على الأقدام. ورمى الغانم من وراء هذه الجولة إلى التعرّف إلى المجتمع، والقيام بأعمال إنسانية لمساعدة المرضى من الفلاحين، واستغلال التعارف مع السكان للدعوة إلى مبادئه القومية التي كانت في دور النضج. وبعد رجوعه من هذه الجولة إلى اللاذقية، اعتقلته السلطات أربع وعشرين ساعة، بتهمة التجسس لألمانيا النازية والدعوة إلى التعصب القومي وإلى النازية. فأجاب الغانم: «أنا ضد النازية ومع الحرية والديموقراطية».

كان أول قرار اتخذه الغانم، في إثر جولته تلك، العمل في اللاذقية بعد التخرّج. إذ أثّرت فيه حال البؤس والفقر والاستغلال السائدة في الجبل العلوي، وشدّته إلى العمل للخلاص منها وجعل اللاذقية منطلقًا للدعوة لأفكاره. وعن وضع الريف في أربعينيات القرن العشرين،

(38) جهاد جديد، مقابلة شخصية، جبلة، 5 حزيران/ يونيو 2005.

وصف الغانم في مذكراته الريف بما يلي: «الإقطاع، والتخلف، والفقر الأسود، والخمول، وجدب الأرض، والزعامات المفروضة، والاستغلال، والاضطهاد، وأنواع التمزق، والابتزاز، وباختصار كل ما يمكن أن توصل إليه قرون من التخلف والاحتلال الأجنبي». وهكذا قرر الغانم السير مع الفقراء والدعوة إلى «الخبز والحرية». وفي أثر هذه الجولة كتب الغانم: «بتُّ أعلم أنّ العواطف لا تكفي بل يجب بتر أسباب الظلم الاقتصادي من أساسها»[39]. ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ علوية وهيب الغانم ساعدته في تسهيل مهمته الفكرية والسياسية في أوساط العلويين. مع العلم أنّ مبادئ الغانم البعثية وفكره النهضوي وسلوكه كانت بعيدة عن الروح الطائفية، بل معادية لها.

يلاحظ أنّ حركة وهيب الغانم البعثية تساوقت مع حركة الحزب العربي الاشتراكي (حزب أكرم الحوراني) في أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات من القرن العشرين من حيث التحالفات الطبقية التي عقدتها الحركتان. ففي كل من الحركتين تمّ الاعتماد على الفلاحين بأصنافهم المختلفة من جهة، وعلى صغار الملّاك والمتوسطين وزعامات الدرجة الثانية من جهة أخرى. وهذه الزعامات وأولئك الملّاك الصغار طمحوا إلى ضرب الملّاك الكبار وزعامات الدرجة الأولى. هذا الاستنتاج وصلتُ إليه من خلال الحديث مع الدكتور الغانم. ولما سألته عن رأيه في هذا الاستنتاج أكده، وأردف قائلًا: «اصطدمنا مع الإقطاعيين ومع المشايخ ولكن بدرجات مختلفة. فليس كل الزعماء على مستوى واحد من الرجعية. فالكثرة من متوسطي الملكية وقفوا معنا».

---

(39) وهيب الغانم، مقابلة شخصية، اللاذقية، 7 كانون الثاني/ يناير 1994.

لم يكن وهيب الغانم على وفاق مع المرشدية، حيث دخل في سجال مكشوف في إحدى جلسات المجلس النيابي في عام 1975، مع نائب الحفة المحامي عزيز عباد الذي نجح بفضل أصوات المرشديين في انتخابات 1954. نقلْتُ وثائق تلك الجلسة على أحد دفاتري الموجودة في دمشق، وأنا الآن في الغربة. ما أذكره أنّ الغانم شنّ حملة على أمور لا أتذكرها تتعلق بالمرشدية متساجلًا مع عزيز عباد الذي كان يدافع عن المرشدية، ويحتمي سياسيًا بكتلة حزب الشعب البرلمانية.

كما نشر جورج صدقني في الصحيفة الداخلية لحزب البعث في آخر عام 1993، بعضًا من ذكريات الغانم في اللاذقية، في أول أربعينيات القرن العشرين، رأى فيها بعض المرشديين تعريضًا به، ما أدى إلى إشكاليات لا مجال للحديث عنها هنا.

- الحزب الشيوعي السوري:

❊ حنا مينة

في 2004/12/25 التقى كاتب هذه السطور الروائي المعروف حنا مينة في بيته في دمشق. لم يكن الهدف من اللقاء معرفة حياة الروائي وأعماله، بل كان القصد التعرف إلى النشاط الشيوعي الذي شارك فيه بحميّة، في كل من اسكندرون واللاذقية. وننقل ما جادت به ذاكرته وهو في الثمانين[40].

(40) سنضع بين قوسين ما نقلناه حرفيًا عن حنا مينة، أما باقي النص فهو نقل غير حرفي أو ملخّص، وأحيانًا توضيح لما تحدث به الروائي الكبير. كما جرت تعديلات على بعض المعلومات نتيجة المقابلة الشخصية الثانية مع حنا مينة، دمشق، 2007/3/31.

في أثر مذابح الأرمن في الأناضول في آذار/ مارس 1915، التجأت أعداد كبيرة من الأرمن إلى اسكندرون، ومنها انتقلوا إلى جهات أخرى. كان للجناح اليساري من الأرمن دور في تعريف الناس بالشيوعية. ورئس المنظمة الشيوعية الناشئة الأرمني أرتين ماخيام والعربي قاسم رضوان الذي كان عاملًا في المرفأ. عام 1938، زار زكي الأرسوزي اسكندرون قادمًا من إنطاكية، وافتتح مكتبًا لعصبة العمل القومي. وعندما اعتقلت السلطات الفرنسية الأرسوزي، قامت تظاهرة في اسكندرون قُتل فيها الشيوعي عبد المسيح[41]، وكان حنا إلى جانبه.

افتتح الحزب الشيوعي في اسكندرون مكتبًا علنيًا في أواخر عام 1936، في أجواء انتصار الجبهة الشعبية ومجيء مستشار فرنسي يساري إلى اسكندرون. في تلك الأثناء قَدِمَ خالد بكداش إلى اسكندرون في سيارة للنقل العام من نوع «فورد أبو دعسة». «فخرجنا لاستقباله، يتقدمنا أرتين ماخيام وقاسم رضوان. وفي اليوم التالي جرت حفلة خطابية في سينما روكسي، خطب فيها ابن عبده يني[42] من عصبة العمل القومي، ثمّ تلاه خالد بكداش فأدهش الناس وهم يسمعون خطبته. وأنا لم أسمع خطيبًا مثل خالد بكداش. كان الحشد كبيرًا والازدحام لا يوصف. وقد تمزّق بسبب الازدحام أول جاكيت اشترته لي أمي».

في عام 1938، تمّت المؤامرة بين تركيا وفرنسا - بحسب تعبير

---

(41) لم يتذكر حنا كنيته.

(42) كان ابن عبده يني يُلقب بالفيلسوف، وله ابن رُسم كاهنًا في دمشق. وهو صاحب أول مطبعة في اسكندرون، وفي هذه المطبعة كانت تطبع صحيفة اللواء.

مينة - وأُعطي اللواء إلى تركيا، ودخل الجيش التركي اسكندرون. في عام 1939، هجر الأرمن والعرب لواء اسكندرون. وذكر مينة أنه كان ابن ستة عشر ربيعًا عندما هرب في أيلول/ سبتمبر 1939 من اسكندرون إلى اللاذقية عن طريق كسب. وخوفًا على الأرمن، وضعت فرنسا بواخر لنقلهم من ميناء اسكندرون إلى أماكن أخرى. والتجأ إلى اللاذقية أيضًا أرتين ماخيام وقاسم رضوان. ولم يكن في مدينة اللاذقية في عام 1939 شيوعيون. وكان الناس يخلطون بين المذهب الشيعي والشيوعية، ويسمّون الشيوعيين في البدء «شيعيين». وفي أوائل عام 1940، جاء إلى اللاذقية من حلب عبد الجليل سيريس[43] لتنظيم الشيوعيين. «وأسسنا - والكلام لمينة - أول خلية شيوعية في اللاذقية» مؤلفة من حنا وعامل في الريجي وشخص من بانياس. وعندما بدأ الفرنسيون الفيشيون برئاسة الجنرال دانتز ملاحقة الشيوعيين، طُلب من حنا مينة أن يذهب إلى كسب للمشاركة في قيادة الشيوعيين هناك تحت اسم «جواد». وكانت المنظمة الشيوعية الأرمنية بقيادة الحداد إسحق حنانيان. وأردف مينة إنّ هذه الأمور موضحة في رواية الفم الكرزي[*] التي تُرجمت إلى الأرمنية.

بعد انسحاب الفيشيين والجنرال دانتز من سورية ودخول الديغوليين مع الإنكليز (حزيران/ يونيو 1941)، توقفت ملاحقة الشيوعيين، فعاد مينة إلى اللاذقية، وعمل حمّالًا في المرفأ، ومن تلك الحياة استوحى روايته، نهاية رجل شجاع. ويقول: «كان العمل

(43) انتخب عبد الجليل سيريس، وهو من حلب، عضوًا في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في عام 1937، وواضح أنّ زيارته إلى اللاذقية هدفها تأسيس منظمة شيوعية.

(*) حنا مينة، الفم الكرزي، بيروت: دار الآداب، 1999.

الحزبي الشيوعي صعبًا في اللاذقية. وشرعنا في تأسيس نقابات في المرفأ وفي شركة الريجي. وكان يصل إلى اللاذقية 25 عددًا من صحيفة صوت الشعب. وكان حنا يبيع الصحيفة الشيوعية علنًا في الشوارع. ويمضي مينة قائلًا: كنت أبيع بين عشرة وخمسة عشر عددًا بحسب التيسير. وكانت هناك صعوبة في توزيع الصحيفة بسبب مقاومة الإقطاعيين. أزلام الإقطاعيين لاحقوني وضربوني بالخنجر ليلًا في أحد الشوارع وظنوا أنني مُتُّ. لم أذهب إلى المستشفى خوفًا من معاودة الاغتيال».

«بعد حادثة الاغتيال هذه بمدة - يمضي حنا مينة متحدثًا - ذهبت إلى بانياس، ومررت على صديقي أبو حبيب وهو صاحب دكان. عندما دخلت، اصفرّ وجه أبو حبيب، وخاف سوء العاقبة. كان في الدكان ثلاثة من زلم الإقطاع يشربون عنده، أذكر منهم يوسف خلاص. لم أتراجع وتذكرت قول الشاعر معين بسيسو: «الصمت موت، والقول موت، قلها ومت». دخلت واتجهت إلى حيث يجلس أزلام الإقطاع، وعرّفتهم باسمي، وبدأت أتحدث إليهم، وشربت عرقًا معهم.

قالوا لي: أنتم ملحدون.

أجبت: نحن لسنا ضد الدين، نحن نؤسس نقابات للدفاع عن العمال، ونطالب بإصلاح الطرق.

قال يوسف خلاص: أخت اللاذقية ما فيها رجال تَقْتُلْ حنا مينة. كنّا نظن حنا مينة رجّال كبير، فإذا به نحيل لطيف.

قلت: يا يوسف، أنا أمامك اقتلني.

فأجابني بالحرف الواحد: لا لن أقتلك، وعار علينا أن نقتلك بعد أن صار بيننا خبز وملح وعرق».

ذكر حنا مينة أنّ الشيوعيين أخذوا ينشطون في بعض قرى اللاذقية. وكثيرًا ما كان برفقتهم بدر مرجان المسؤول عن منظمة الشيوعيين في الساحل، وكان يأتي من باب التبانة في طرابلس. وبعد لقاء الفلاحين، والخروج من الاجتماع، كان بدر (وهو علوي) يبقى معهم، ويتحدث إليهم. ويقول مينة: «كان بدر يحكي معهم خمس كلمات، يفهمونها أكثر من أقوال كارل ماركس. وعندما أتى وهيب الغانم، حكى معهم ست كلمات، فقشّطنا من كان معنا من الفلاحين وراحوا مع وهيب».

جرت الانتخابات النيابية في عام 1947، وترشح وهيب الغانم ممثلًا لحزب البعث. يقول مينة: «تلقينا تعليمات من الحزب (الشيوعي) في دمشق، اعملوا حتى لا ينجح وهيب الغانم في الانتخابات». وذهب مينة إلى بلدة كَسَبْ حيث للشيوعيين قوة بين الأرمن، وعمل مينة على منح أصوات الناخبين، وكان عددهم كبيرًا في كَسَب، إلى أمين رويحة وبدوي الجبل، ولم يفز الغانم في عام 1947 بالنيابة. وبعدها أخذ بدوي الجبل يردد: الشيوعيون انتخبوني، ليس حبًّا لي، بل كرهًا لوهيب الغانم.

ذكر حنا مينة أنّ من الشيوعيين المعروفين في اللاذقية آنذاك: طبيب الأسنان محمد الحاج حسين، وأصله من جسر الشغور، وتعرّف إلى الشيوعية في أثناء دراسته طب الأسنان في فرنسا، وعبد الرحمن مسبوت من اللاذقية، وعز الدين نعيسة من ريف اللاذقية (بسنادة). وبعد تسع سنوات على إقامة حنا مينة في

اللاذقية قادمًا من اسكندرون، غادرها إلى دمشق في عام 1948، إذ بدأ نجمه يصعد بالتدريج مع روايته المصابيح الزرق وعمله في الصحافة والسياسة، وكان له دور أساسي في تأسيس «رابطة الكتّاب السوريين» التي تحوّلت إلى رابطة الكتاب العرب. ومن ثمّ رحيله هربًا من «المباحث السراجية» وعودته لاحقًا إلى الوطن. وهو يحمل على منكبيه ثلاثين رواية تُقرأ في سائر أصقاع العالم العربي.

* بدر مرجان[44]

نشأ بدر مرجان وترعرع في عائلة علوية في حي باب التبانة في مدينة طرابلس الشام ذات العلاقات الاقتصادية والثقافية والعائلية مع محافظتي اللاذقية وحمص. ويعود أساس عائلة مرجان إلى ريف صافيتا.

عمل بدر مرجان في مستهل شبابه مع أخيه بائعًا للبيض في دكان صغير في حي باب التبانة. وبعد أن انتسب إلى الحزب الشيوعي اللبناني في عام 1937، تطوّع للعمل في أرياف اللاذقية ونشر الفكر الشيوعي والدفاع عن الفلاحين. وهو المؤسس الحقيقي لمنظمات الحزب الشيوعي في «الجبل العلوي».

عندما كُنْتُ أقوم بجولة ميدانية واسعة في الساحل السوري في عام 1984، لفت انتباهي تردد اسم بدر مرجان على ألسنة عدد من الفلاحين المسنين في منطقتي صافيتا وطرطوس، بوصفه الشيوعي المتفاني في سبيل مبدئه، والساعي إلى نشره بين الفلاحين.

---

(44) عبد الله حنا، الحركة الشيوعية السورية: الصعود والهبوط، دراسة تجمع بين التاريخ الشفهي والتاريخ المكتوب (دمشق: دار نون 4، 2008)، ص 163-167.

كان بدر مرجان يمشي من قرية إلى أخرى لنشر الشيوعية، مستخدمًا التجارة بالبيض غطاءً للتنقل بين القرى والاتصال بالناس وتمويه أهدافه أمام دوريات الدرك والقوى المعادية. وبعد الدراسة والاستفسار، تبين أنّ بدر مرجان هو الجندي الشيوعي المخلص لمبدئه والساعي إلى نشره بكل ما أوتي من قوة. فجميع الشيوعيين القدامى في محافظة اللاذقية يعرفون بدر مرجان أو سمعوا عنه.

أصدر الشيوعيون في صافيتا بمبادرة من بدر مرجان مجلة صوت القرية التي كانت تكتب عن أخبار الفلاحين، وتطبع في طرابلس، وتوزع في عدد من القرى. وكانت المجلة تصدر بصورة غير دورية حتى لا تطالب السلطات برخصة لها. ويذكر فايز بشور أنّ بغل أحد الفلاحين لبط (رفس) حصان أحد الدرك فانتقم الدركي من الفلاح صاحب البغل. وتعقيبًا على هذه الحادثة كتب دانيال نعمة في مجلة صوت القرية مقالة بعنوان: «بغال الفلاحين لا تحترم أحصنة الدرك».

كان بدر مرجان عضوًا في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري وألقى «أمام المجلس المنطقي لممثلي منظمات الحزب الشيوعي في محافظة اللاذقية المنعقد في تشرين الثاني/ نوفمبر 1945» تقريرًا نشره الحزب الشيوعي في كراس بعنوان: مطالب الشعب في الجبل العلوي، نقتطف منه بعض الفقرات الموضوعة ضمن قوسين، ونلخّص فقرات أخرى مع الحرص الشديد على المحافظة على المعنى واستخدام الكلمات والتعابير الواردة في التقرير:

ضمّ المجلس المنطقي ممثلي اللاذقية وجبلة وبانياس وطرطوس وصافيتا وتلكلخ والحصن وعشرات القرى الأخرى وبحث التقرير في «الحالة السياسية العامة للبلاد، ومطالب شعبنا

الراغب في حياة حرة مستقلة، يتمتع فيها العامل والفلاح بمستوى عيش لائق، كما أنّه سيبحث في حالة الجبل العلوي، ويفصح بدقة عن حاجاته الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية».

كانت العناوين الرئيسة في الكراس هي التالية:

• «الشيوعيون هم في الصفوف الأولى من النضال الوطني في الجبل العلوي».

• «نناضل لأجل الاستقلال، ولأجل الحرية والخبز أيضًا».

• «الجبل العلوي يطلب مكافحة الغلاء، ويطلب العمران والثقافة ووضع حد للاستبداد بالفلاحين».

• «إن أول رصاصة وطنية ضد الاستعمار انطلقت من الجبل العلوي عام 1921».

وختم تقرير بدر مرجان بالشعار التالي: «عاشت سورية العربية حرة مستقلة سعيدة موحدة ديمقراطية».

* زكريا حسن[45]

ورد في تقرير بدر مرجان أمام المجلس المنطقي لممثلي الحزب الشيوعي في محافظة اللاذقية المنعقد في تشرين الثاني/ نوفمبر 1945، «أنّ زكريا حسن أقدم شيوعي في جبل العلويين، وأحد قواد منظمة عين دابش. فقد تحمّل ألوان الاضطهاد، وهو إلى الآن أنشط الشيوعيين في قريته». ولمعرفة حياة زكريا أو بعض

---

(45) حنا، ص 168–169.

منها كلّفنا الشيوعي الحلبي نادر حلاق المقيم حاليًا (أيلول/ سبتمبر 2007) في عين دابش، فأرسل لنا رسالة مؤرّخة في 22/ 8/ 2007، تتضمن ما تمكّن من جمعه عن زكريا حسن من أحفاده الثلاثة. وفي ما يلي بعض ما كتبه:

هو زكريا حسن حيدر من مواليد عام 1895 في عين دابش. توفي والده وهو لا يزال طفلًا. تعلم القراءة والكتابة عند شيخ القرية. وعندما بلغ الخامسة عشرة، هاجر إلى الأرجنتين مع عدد من أبناء قريته. وهناك عمل أجيرًا في الحقول الزراعية. وعندما تعلّم اللغة الإسبانية تعرّف إلى الحركات السياسية في الأرجنتين، وانتسب إلى الحزب الاشتراكي الأرجنتيني الواسع الانتشار في صفوف العمال الزراعيين. بعد ثورة أكتوبر الاشتراكية في روسيا في عام 1917، انقسم الحزب الاشتراكي على نفسه، وانبثق من الجناح اليساري الحزب الشيوعي الأرجنتيني، وكان زكريا حسن في الصفوف الأولى الناشطة في الحزب الشيوعي.

في عام 1921، عاد زكريا حسن إلى أرض الوطن على ظهر باخرة تنقل الأبقار وهو لا يملك شروى نقير. ولهذا عمل في قِطاف الزيتون والعنب، وأخذ يبيع حصّته من القطاف في القرى المجاورة. وفي هذه الأثناء اقترن بزوجة أخيه المتوفى التي أنجبت له في عام 1923 ابنه حسن. وبعد ذلك هاجر مرة ثانية إلى الأرجنتين، لكنه لم يمكث مدة طويلة، وقفل راجعًا ليعمل في ضمان المحصولات وبيعها. ثم انتقل إلى طرابلس في عام 1930، وعمل في تجارة السجاد اليدوي، وتحسنت أحواله المادية. في أثناء إقامته في طرابلس تعرّف في أواخر ثلاثينيات القرن العشرين

إلى نقولا الشاوي وبدر مرجان وهما من شخصيات الحزب الشيوعي، وانضم إلى الحزب، وأخذ ينشط في قريته عين دابش والقرى الأخرى المجاورة مثل الصفصافة وصافيتا ومشتى الحلو.

كان بيت زكريا حسن في عين دابش مركزًا للحزب الشيوعي حتى عام 1975. وعندما توفي في عام 1977، خلّف من الأحفاد ثمانية ذكور وثلاث بنات، وكان عدد كبير منهم ناشطًا في الحزب الشيوعي قبل أن تداهمه المِحَن.

الفصل الثالث

الحركة المرشدية في مرحلتها الأولى
(1923-1946)

أولًا: الأرضية الاقتصادية - الاجتماعية للحركة المرشدية

نشأ سلمان المرشد وترعرع في ربوع مرتفعات الحفة (وما يجاورها جنوبًا)، وهي القسم الشمالي من جبال الساحل المعروفة سابقًا بجبال العلويين[1]. كانت الأرض الزراعية محدودة وضيقة قبل خمسينيات القرن العشرين، لأنّ القسم الأعظم من الأرض غطّته الأحراج أو بقاياها، واستخدم للرعي أو للحصول على الحطب، وسيلة التدفئة الرئيسة آنذاك. واعتمدت الزراعة على الحبوب من حنطة وشعير وعدس وكرسنة وسمسم مع بعض الخضروات والدخان الذي كان محصولًا نقديًا مهمًا. أمّا الغذاء الرئيس للفلاح، فتألف من الخبز والتين والبصل والثوم والعدس والبرغل. كما زرع الفلاح أحيانًا القطن البلدي ذا الجوزة الصغيرة، وكان ينتف باليد، فتغزل منه الثياب بالوسائل اليدوية. والنساء هنّ اللواتي تخصصن في غزل القطن وحياكته، كما في نسج الحرير وحياكته. وفي كل بيت وجد عدد من رؤوس الماعز، وكان ذبح الجدي إكرامًا للضيف أيسر من ذبح فروج الدجاج. فالفلاح الفقير ملك في حدود عشر عنزات، في حين ارتفعت ملكية الفلاح الميسور إلى خمسين رأسًا من الماعز أو أكثر. كما ملك الفلاح زوجًا من البقر للحراثة والحليب. وإذا كان الفلاح غنيًا، ترتفع ملكيته من البقر إلى الضعف.

---

(1) انظر ما ورد سابقًا عن الحفة، نقلًا عن: رفيق التميمي ومحمد بهجت، ولاية بيروت، 2 ج في 1 (بيروت: دار لحد خاطر، [1914-1916]).

وكان ثمّة موسم معيّن لذبح البقر منذ آخر كانون الأول/ ديسمبر إلى أول كانون الثاني/ يناير، ويسمّى «موسم القوزلي». وقد روعي في بناء البيوت مسألة فقدان الأمن وكثرة اللصوص. وكان هناك تعاون بين الفلاحين لدى بناء البيت أو تطيينه. كما كان التعاون قائمًا في الأعمال الزراعية. فالفلاح المفتقر إلى أيّ أداة حديثة، وجد في التعاون مع الآخرين وسيلة مهمة للسيطرة على بعض مظاهر الطبيعة. كما كان معظم الأرض بورًا، وانتشرت فيها الأحراج والشجيرات الحرجية والرعوية. فكان كسر الأرض أي «استصلاحها» في حاجة إلى موافقة المستشار الفرنسي، وهو الآمر الناهي في القضاء. والصلات بين المستشار وزعماء العشائر ومتنفذي القرى كانت في معظم الأحيان وطيدة. معنى هذا، أنّ تملّك الأرض ارتبط برضى رئيس العشيرة، ومدى نفوذ العائلة وقوتها والعلاقة الجيدة مع السلطة. وفي كثير من الأحيان، كان يجري الاتفاق بين الفلاح الضعيف وزعيم العشيرة أو سيد العائلة أو المتنفذ، على أن يقوم الفلاح بكسر الأرض (استصلاحها) واستثمارها مدة سنة، ثمّ تصبح ملكًا للزعيم، أو تجري قسمتها معه، بحسب نسبة القوى والأجواء السائدة. و يكون عمل الفلاح الذي كسر الأرض أحيانًا مرابعًا عليها لمصلحة الفلاح الغني أو زعيم العائلة أو العشيرة. وعلى الرغم من تطور بلدة الحفة في آخر القرن العشرين إلى مركز تجاري متواضع، لم يكن في مرتفعات الحفة مركز تجاري. كما لم تعرف مرتفعات الحفة الملكيات الكبيرة، بسبب طبيعة الأرض الجبلية، وانتشار الأحراج، وصعوبة استصلاح الأراضي. فالملكيات المتوسطة والصغيرة هي السائدة. وشكّل الفلاحون الأغنياء والمتمترسون وراء العشائرية والعائلية والطائفية للمحافظة على نفوذهم وللسيطرة

على الآخرين، قوة بارزة في المنطقة. واتخذ بعض هؤلاء لقب آغا أو مقدم، ودخل في صراع على الزعامة والنفوذ ولكنهم جميعًا، كما قال أحد الفلاحين، كانوا ينهبون الفلاح[2].

قرية جوبة برغال التي نشأ فيها سلمان المرشد، قرية جبلية في منطقة العلويين تقع إلى الشرق من اللاذقية، وتسودها العلاقات الآنفة الذكر. ولم يكن عدد سكانها في عام ولادة المرشد 1907، يتجاوز 500 نسمة. وهم فلاحون ورعاة طعامهم خبز الشعير والذرة وبيض الدجاج والبرغل والبصل ومنتوجات الألبان. ولباسهم أسمال رثة، تكاد لا تستر عورات الفقراء منهم. كانت جوبة برغال تابعة لناحية المهالبة المؤلفة من ثلاثين قرية صغيرة، عدد نفوسها في عام 1923 سبعة آلاف نسمة، لم يكن فيها في عشرينيات القرن العشرين، إلّا ما يسمّى مدرسة في قرية الفاخورة مركز الناحية. أمّا مخفر الدرك، رمز «الدولة العربية الحديثة» في الريف، فأُحدث في عام 1924، لمراقبة سلمان المرشد ودعوته[3].

كانت انطباعات مندوب صحيفة **الأيام** عن المتهمين في محاكمة سلمان المرشد في خريف 1946، ذات دلالة واضحة على وضعهم الاجتماعي الفلاحي وفقرهم المدقع. كتب الصحافي: «إنّ حالة المتهمين تدلّ على أنهم قوم عاشوا بين براثن المرض والجهل والفقر. وإنّ منظرهم يدلّ على هذه الحقيقة بوضوح»[4]. المتهمون

(2) المعلومات الواردة هي حصيلة جولاتنا الميدانية في عام 1984.

(3) جورج بطرس دكر، سليمان المرشد: مدّعي الألوهية في القرن العشرين (اللاذقية: مطبعة الحداد، 1946)، ص 53.

(4) صحيفة الأيام (سورية)، 24/ 11/ 1946.

جميعهم من الفلاحين المعدمين، إلّا إسكافيًا واحدًا. وهم في سرّهم وعلنهم فقراء، جهلاء، أشقياء، معدمون»[5].

ثانيًا: سلمان المرشد

ولد سلمان المرشد في عام 1907، في جوبة برغال، ونشأ في بيت عادي، وكان يحيا في طفولته وصباه حياة بساطة وفقر، ويعتاش مع أهله من واردات حاكورتين إلى جوار بيت سكنه تابعتين في الأصل لوقف جعفر الطيار[6]. وما إن ناهز سلمان العاشرة، حتى راح يقود بعض مواشي القرية إلى المراعي، وهو في حال من الفقر يرثى لها[7]. كما عمل راعيًا مدة ستة شهور[8]. وهذا دليل على استغلال رؤساء العشائر الضعفاء من أبناء العشيرة. واللافت أنّ سلمان المرشد لم يكن يتحدر من عائلات الوجاهة في العشيرة، ومع ذلك

---

(5) صحيفة الأيام (سورية)، 26/ 11/ 1946. بلغ عدد المتهمين 53 متهمًا منهم المرشد وأولاده الأربعة الذين تولى الدفاع عنهم المحامي يوسف تقلا. أما المتهمون الباقون وعددهم 48 فلم تتمكن أكثريتهم الساحقة من توكيل محام بسبب ضيق ذات اليد، فقام رئيس المحكمة بتعيين محام من نقابة المحامين لهؤلاء الفلاحين الفقراء.

(6) تقرير محافظ اللاذقية إلى وزارة الداخلية، 7/ 10/ 1946، وثائق الدولة، وزارة الداخلية، د/ 15/ 15.

(7) ذكر، ص 2. ويلاحظ أنّ ذكر يتحامل على المرشد، وكتابه مشحون بأجواء العداء السائدة آنذاك ضد المرشد. واتهامه بادعاء الربوبية مسألة غير ثابتة وتنفيها كتابات المرشديين. وبحسب تقديرنا فإنّ السلطة في دمشق وممثليها في اللاذقية كانوا وراء طبع الكتاب الذي يتحامل على سلمان ويسميه سليمان المرشد. والكتاب طُبع بعد إعدام المرشد بفترة وجيزة.

(8) هذا ما ذكره سلمان المرشد أمام رئيس عشيرة المهالبة يونس عيسى عثمان في أثناء مثوله للشهادة في محاكمة المرشد في جلسة 30 تشرين الثاني/ نوفمبر 1946. انظر: صحيفة الأيام (دمشق)، 1/ 12/ 1946.

فاق نفوذه أقوى رؤساء العشائر. وهنا يكمن سر نجاح المرشد في كسب الأنصار.

في عام 1920 أصيب سلمان المرشد بمرض عصبي، فعالجه شيخا القرية الشقيقان إبراهيم وأحمد محمد علي بالقراءة والمداواة الروحية. وفي أثناء مرضه كان ينادي: «يا خضر». فشاع أمره بأنه يواجه الخضر أبا العباس[9]. تحمس للمرشد محمد خرطبيل بيطار الجوبة الذي كان يجوب عددًا من القرى المجاورة. وقام خرطبيل بسبب تنقله بين القرى بنشر أخبار المرشد ورؤيته الخضر. وأخذ الناس يتقاطرون من القرى لمشاهدة من يرى الخضر للتبرك به. فرتب له الشيخان إبراهيم وأحمد محلات زيارة لقاء رسم معين. وفي الوقت نفسه تراجع نفوذ وجيه الجوبة محمد عيسى الذي لم ينظر بعين الرضى إلى صعود شعبية المرشد التي أضعفت وجاهته. ويلاحظ أنّ معظم الزعماء خاف على تلاشي وجاهته مع تقاطر الناس لمشاهدة المرشد. ولهذا الأمر دلالاته وتأثيره في العلاقة بين الوجاهات الخائفة على تقلص زعامتها، والحركة المرشدية الصاعدة والمستندة إلى جماهير الفلاحين الفقيرة في عشائر العمامرة والمهالبة والدراوسة التي اعترفت بالمرشد «رئيسًا للشعب الحيدري الغساني»[10]. ومع تصاعد الحركة اعتقل سلمان في عام

---

(9) الخضر عبد صالح من عباد الله، واسمه (بَلْيَا) وكنيته أبو العباس، والخضر لقبه، لُقِّب به لأنه جلس على فروة بيضاء فصارت خضراء. وقصة الخضر معروفة في القرآن الكريم «سورة الكهف»، لكن ثمة خلافًا على نسبته إلى النبوة أو الولاية. وهو مقدّس لدى الأديان السماوية واسمه في المسيحية مار جرجس.

(10) كان من بين المصادرات المعروضة في المحاكمة علم «الحيدرية - الغسانية» وهو «علم أبيض اللون له إطار أصفر ويحمل في قلبه قرص الشمس».

1923، وحكم لمدة شهرين، ثم نفته سلطات الانتداب الفرنسية إلى الرقة لمدة عامين من 1923 إلى 1925.

بعد عودة سلمان من الرقة، عاش فترة هدوء كي لا يُعَرّض نفسه للاعتقال، لأنّ سلطات الانتداب ممثّلة بالمستشار في الحفة كانت في البدء ضده. لكن الحركة كانت تنتشر، ويتكاثر المؤيدون لها خارج نطاق جوبة برغال والقرى القريبة منها، أي قرى الغاب وجبل الحلو. وسنترك الأسباب الاجتماعية لهذا الانتشار السريع إلى فقرة لاحقة، ونكتفي هنا بالإشارة إلى دور العامل التراثي في انتشار الحركة المرشدية التي تدرّج صاحبها من القول بمشاهدة الخضر إلى النبوة فالألوهية، بحسب أقوال خصوم المرشدية[11]، مشيرين مرة أخرى إلى نفي المرشديين الشائعات عن ألوهية المرشد.

يتهم تقرير محافظ اللاذقية في عام 1946، المرشد بما يلي: «نادى سلمان المرشد بنفسه رئيسًا للشعب الحيدري الغساني [...] شكّل دولة خاصة، دعمها بتشكيلات عسكرية مسلّحة، بلغ عدد أفرادها أحيانًا ألفي نسمة [...] فرض جمع أموال الوقف والزكاة والضرائب الأميرية ورسوم عقد الزواج ورسوم النفوسية وبيوع الحيوانات وضرائب أخرى لصندوقه. وألّف محاكم في جوبة برغال وغيرها، وعيّن قضاة لها، وأمر المتنازعين بالرجوع إليها في خلافاتهم والانصياع إلى أحكامها. واختار من الشباب ضباطًا وفدائيين»[12].

---

(11) إنّ ما نكتبه عن الحركة في شأن الربوبية يعتمد على أقوال خصومها. وعلى المؤرّخ عرض جميع الآراء من غير أن يعني ذلك أنه يتبنّى رأيًا من دون آخر.

(12) تقرير محافظ اللاذقية في 1946.

ثالثًا: المواقف السياسية لسلمان المرشد

لم تسر المواقف السياسية لرأس الحركة المرشدية في خط مستقيم. والسياسة لا تعرف السير إلّا في الطرق المتعرجة بحسب الظروف والأحوال. وكثيرًا ما كانت الحوادث ورياحها هي التي تدفع الحركة في هذا الاتجاه أو ذاك، وتدفع ربان السفينة إلى التلاؤم مع مجرى الرياح.

في البدء، وقفت سلطات الانتداب موقفًا عدائيًا من الحركة، ونفت سلمان المرشد إلى الرقة بين عامي 1923 و1925، ثم ضيّقت عليه الخناق حتى عام 1928، وسعت إلى الحد من نشاطه من دون جدوى. وبعد أن لمست سلطات الانتداب سرعة انتشار الحركة وقوتها، شرعت، منذ عام 1928، تتقرب من المرشد، ساعية إلى استغلال الحركة لمصلحة سياسة الانتداب.

خصوم المرشدية متفقون على أنّ الانتداب مهّد الطريق أمام مؤسسها لمصلحة الاستعمار في المنطقة. تلقي هذه الآراء أسباب الحوادث على كواهل العوامل الخارجية، مهملة دور الموروث التاريخي وما يختزنه من عوامل تصنع الأعاجيب. كما أنّ تلك الآراء تهمل العوامل الداخلية في صنع الحوادث، وتغمض العين عن فعل العلاقة الجدلية بين العوامل الداخلية والخارجية. ولا شك في أنّ الأرشيف الفرنسي المكدّس آنذاك في بيروت يقدّم مادة غنية، لاستجلاء غوامض جوانب كثيرة في مجال بحثنا. لكن القسم الأكبر من هذا الأرشيف أكلته نيران سلطات فيشي الفرنسية، قبل انسحابها من بيروت في عام 1941، أمام تقدم القوات البريطانية

والديغولية (الفرنسية) الزاحفة من فلسطين. وليس بالمستطاع، بسهولة، الوصول إلى الأرشيف الفرنسي الذي سيقدّم إضاءات في هذا المجال. علمًا أنّ معظم الزعامات الريفية سار وراء المستشارين الفرنسيين لاهثًا وراء مصالحه.

يبقى أن نشير إلى أنّ المرشد سعى للاحتفاظ باستقلاليته ضمن الظروف المتاحة. وهذه «الاستقلالية» أفسحت له في المجال لمد خيوط الاتصال بالكتلة الوطنية قائدة الحركة الوطنية السورية. وتتبدى مظاهر التقارب بين المرشد والحركة الوطنية السورية في أنّ الكتلة الوطنية في اللاذقية وافقت، بناءً على اقتراح عبد الواحد هارون (أحد زعماء اللاذقية السنّة)، على انتخاب سلمان المرشد في عام 1936، عضوًا في المجلس النيابي السوري.

شارك سلمان المرشد في جلسات المجلس النيابي في دمشق، وزادت فترات غيابه عن جوبة برغال، لذلك تولت زوجته هلالة (أم فاتح)، ولها مكانة عشائرية مرموقة، تسيير الأعمال في الجوبة، حيث أصبحت كما ذكر ابنها فاتح في أثناء محاكمة المرشد «الكل في الكل»[13]. وتتبدى خيوط الاتصال بين المرشدية والحكم الوطني

---

(13) انظر مقتطفات من المحاكمة في: صحيفة الأيام (سورية)، من 23/11/1946 إلى 12/12/1946. وفيها هذا التعبير لفاتح بن سلمان المرشد بأنّ أمّه «كانت الكل في الكل»، في معرض دفاعه عن والده في أثناء المحاكمة وتبرير قتل أمه «وأجهش في البكاء» كما ورد في صحيفة الأيام. وقرار الحكم دان المرشد بإطلاق النار على زوجته أم فاتح ولم يتهمه بالألوهية أو الخيانة العظمى. وكان فاتح مثقفًا ونبيهًا درس في الجامعة الأميركية، وله موقف أعلن فيه أنه سيعيد أرض الفلاحين التي أخذها أرباب الوجاهة من زعماء المدن إلى أهلها الفلاحين. والغربة منعت كاتب هذه الأسطر من متابعة حياة فاتح المثقف السجين، وهو كما=

في تصريح فاتح في السجن لمندوب صحيفة الأيام بقوله: «أردنا الإصلاح، وقصدت دمشق لإقناع المسؤولين بضرورة طي صفحة الماضي»، وأعرب عن ثقته بالقضاء السوري[14].

شهدت فترة ثلاثينيات القرن العشرين وأربعينياته تصاعدًا ملحوظًا في الحركة الفلاحية المطالبة باسترداد الأرض التي نهبها أرباب الوجاهة والنفوذ، وسجلوها في دوائر الطابو بأسمائهم. ولا شك في أنّ الحركة المرشدية، بغض النظر عن بعض منطلقاتها «الغيبية»، كانت جزءًا من الحركة الفلاحية المناهضة للإقطاع. ومن هنا يمكن دراسة الخلفيات الاجتماعية لبعض أمواج الحركة المرشدية بعد كشف الوجه «الغيبي» للحركة التي استَغلها طرفا النزاع سلبًا أو إيجابًا.

هذا أحد أوجه الخلاف بين الفلاحين السائرين وراء المرشد وكبار الملّاك الذين كانت لهم يد طولى في الكتلة الوطنية المتعددة الاتجاهات[15]. أمّا الوجه الآخر، فبرز في استغلال السلطات

= أرى مظلوم لا ذنب له يستحق العقاب بالسجن مدة طويلة. وخلال مطالعتنا سيرة أمه (هلالة أم فاتح) يبدو أنها كانت ذات شخصية قوية وكلمتها مسموعة ولها صولة ودولة بسبب كثرة غياب المرشد لحضور جلسات المجلس النيابي في دمشق، فأصبحت هي الآمر الناهي في أثناء غياب زوجها المرشد أو مرضه. ولا ننسى أنّ للمرأة مكانة محترمة في الحركة المرشدية. وهذه الظاهرة تستحق دراسة خاصة من مؤرّخي المستقبل وسوسيولوجييه. وما يحزّ في نفسي وأنا أنجز هذه الدراسة في الغربة أنّ كثيرًا من الوثائق التي نقلتها عن المرشدية لا تزال حبيسة الأرشيف الذي أملكه في دمشق. كما أنّ كثيرًا من الأسئلة والاستفسارات التي تراودني، كان يمكن الإجابة عنها عن طريق الدراسات الميدانية.

(14) صحيفة الأيام، 26/ 11/ 1946.

(15) منذر موصلي، البحث عن الحقيقة: المرشدية وسلمان المرشد، أبو فاتح =

الاستعمارية الفرنسية هذا الخلاف بين فلاحي الحركة المرشدية ووجهاء مدينة اللاذقية من كبار ملّاك الأرض، واستثماره لمصلحة استمرار الحكم الاستعماري الفرنسي وترسيخه بوجهه الانتدابي.

من هنا أخذت الهوة، ابتداءً من عام 1938، تتسع بين المرشد المستند إلى جمهور فلاحي (بغض النظر عن اتهام بعضهم له بأنه يستغله لمصالحه) والحركة الوطنية السورية الطامحة إلى توحيد البلاد والحد من نفوذ النزعات المحلية والزعماء الطامحين. ولهذا اتخذ الحكم الوطني في دمشق قرارًا بفرض الإقامة الجبرية في دمشق على نائب الحفة سلمان المرشد بعيدًا عن معقله. ومع ذلك لم تنقطع خيوط التواصل بين الفريقين.

عندما احتدمت المعارك في أيار/مايو 1945، بين الحكم الوطني والقوات الفرنسية الاستعمارية المتمركزة في مرتفعات المزة، وقُذفت دمشق بقنابل المدفعية، تلا النائب الشعبي الوطني فخري البارودي تصريحًا في جلسة المجلس النيابي مقدَّمًا من النائب سلمان المرشد جاء فيه:

«إنّي أضع نفسي وعشائري وأموالي تحت تصرف الأمّة والحكومة، وأعلن أنه إذا كان هناك خلاف بيني وبين الحكومة، فأنا وطني قبل كل شيء، وعلى استعداد للقيام بكل ما يتطلبه الوطن

= (دمشق: مطابع الداية، م. الموصلي، 2008). ويذكر الموصلي أنّ عبد القادر شريتح، وهو من وجهاء اللاذقية، وأحد قادة الكتلة الوطنية، بدأ في عام 1939 بتطويب أراضي مزرعة سطامو باسمه مستغلًا عدم وجود وثائق بأيدي الفلاحين. وأخذت قضية سطامو أبعادًا واسعة، ما دفع المرشد إلى إنذار محافظ اللاذقية إحسان الجابري بمغادرة المحافظة، وهذا ما جرى بالفعل (ص 35).

وبكل ما توجبه سيادة البلاد واستقلالها». وجرى تصفيق حاد عند قراءة البيان، ونشرته الصحف في اليوم التالي.

اختيار النائب فخري البارودي لتلاوة تصريح سلمان المرشد الأمّي الذي لم تتح له الظروف تعلم القراءة والكتابة، كان له مغزاه العميق في تلك الظروف الحرجة، فالبارودي كان صلة الوصل بين الكتلة الوطنية الحاكمة والجماهير الشعبية المؤيدة للكتلة في كفاحها الوطني، والمتململة في الوقت نفسه من سياسة بعض أركان الكتلة (وكثير منهم من الإقطاعيين) وخطهم المعادي للفلاحين، وكذلك تصريح سلمان المرشد بأنه على الرغم من خلافه مع الحكومة، فإنّه وطني ويؤيّد الحكومة في نضالها من أجل الاستقلال.

«وفي ليلة ليلاء»، بحسب تعبير عبد اللطيف اليونس، غادر المرشد دمشق، والتجأ إلى معقله في جوبة برغال، ولأسباب كثيرة تصاعد الخلاف بينه وبين الحكم الوطني في اللاذقية، ما أدى إلى «الصدام المسلح»، واعتقال المرشد ومحاكمته وإعدامه.

بعد اعتقال المرشد، وقبل محاكمته أمام المجلس العدلي في الصالة الكبرى في دار الكتب الوطنية باللاذقية بين 23 تشرين الثاني/ نوفمبر 1946 و11 كانون الأول/ ديسمبر 1946[16]، اعترف المرشد في السجن لمندوب صحيفة **الأيام** في 24/ 11/ 1946، قائلًا: «منذ تسعة أشهر، قطعت علاقتي بكل ما هو أجنبي، وكل

(16) انظر مقتطفات من المحاكمة في: صحيفة **الأيام** (سورية)، من 23/ 11/ 1946 إلى 12/ 12/ 1946.

ما فيه المعارضة للحكومة [...]، وبتّ مخلصًا لاستقلال بلادي. وكنت أحسن استقبال رجال الدرك»[17].

رمت إفادة فاتح إلى تبرئة ساحة والده الموجود في قفص الاتهام، وبيّنت في الوقت نفسه مدى نفوذ هلالة أم فاتح. أفاد فاتح في جلسة 26/11/1946 قائلًا: «إنّ والدتي ذهبت برصاص أبي [...] (وأخذ يبكي) [...] إنّ نفوذها على العشيرة كان نفوذ عطف ومساعدة لجميع رجال العشيرة. وقد ظهر هذا النفوذ خلال غياب والدي الذي كثر غيابه عن الجبل، منذ عام 1936 حتى الآن. وكانت والدتي تأمر وتنهي بحضور والدي الذي انتابته أمراض كثيرة، حوّلته زاهدًا في التدخل في كثير من الشؤون [...]»[18].

انتهت الخلافات والمناوشات بين السلطة الوطنية السورية والمرشدية التي بدأت في عام 1939، في عام 1946 بصدام مسلح أدى إلى استسلام المرشد، ومقتل ضابط وجندي من الدرك وعدد من أنصار المرشد. اتهم ضبط الاتهام سلمان المرشد «بالتآمر على سلامة الدولة بالاتفاق مع دولة أجنبية، وحصوله على رشاشات، وإثارته الطوائف، وانقضاضه على الدرك، وقتله زوجته هلالة بنت محمود داوود»[19]. كما دانت وثائق الاتهام

(17) لم يكن سلمان المرشد الزعيم الوحيد الذي عقد صلات قوية مع الفرنسيين، فعلى امتداد البلاد السورية كانت ثمّة زعامات من الطوائف والمذاهب المختلفة تعقد أواصر الصلات مع سلطات الانتداب كي تثبت مواقعها، وتحسّن أوضاعها المالية على حساب العشيرة أو العائلة أو المنطقة.

(18) صحيفة الأيام (سورية)، 27/11/1946.

(19) نقلًا عن: صحيفة الأيام (سورية)، 14/11/1946.

سلمان بشق عصا الطاعة، وإصدار أوامر خطية، وعدم الاعتراف بسلطة الحكومة المركزية، وإنشاء دولة باسم حكومة الشعب الحيدري الغساني»[20].

أما سلمان المرشد، فأفاد في جلسة 26 تشرين الثاني/ نوفمبر قائلًا: «إنّ إفادتي بالاستنطاق غير صحيحة [...] أنا لا يهمني الموت، وما يهمني التهمة الموجهة إلي بالعمل ضد الاستقلال. وأنا لا أطمع في وزارة ولي سبعة عشر ولدًا، فإذا مت فهناك من يخلفني»[21].

رابعًا: انتشار المرشدية

ما إن انتشر خبر سلمان المرشد عن أنه ينادي في أثناء مرضه «يا خضر»، ويواجه الخضر أبا العباس، «حتى أخذ الناس، وخاصة الفقراء المحرومين يتقاطرون بالعشرات، ومن ثمّ بالمئات لزيارة سلمان المرشد، وهم يحملون معهم الهدايا، وكلهم يؤمنون إيمانًا صادقًا بالدعوة، موقنين أنّ الخلاص أصبح قاب قوسين أو أدنى على يد من رأى الخضر أبا العباس الذي سينقذ العالم، ويخلّص الناس من خطاياهم، فهو المهدي المنتظر. ولم يكن الزعماء مرتاحين لانتشار هذه الدعوة التي ستقلّص نفوذهم. ولهذا أبلغوا السلطات بنشاط هذا «الراعي المجهول»[22]. وبعد أن اعتقل المستشار سلمان المرشد بالخديعة، أطلق سراحه بعد فترة وجيزة، ثمّ نفاه إلى الرقة، وبعد عودته بمدة استأنف نشاطه في عام 1928. وأخذ المرشد

(20) المصدر نفسه.

(21) صحيفة الأيام (سورية)، 27/ 11/ 1946.

(22) دكر، ص 18.

يوطد أقدامه بوسائل متعددة، ومنها زواجه من عدد من النساء، والذي حمل بين طيّاته كسب بعض المتنفذين دينيًا أو عشائريًا إلى جانبه، وهو الراعي السابق المفتقد إلى العصبية الموروثة.

بعد أن وطدت الحركة المرشدية أقدامها في منطقة الحفة، انتقلت إلى منطقة الغاب الغربية وفي مقدمها قرية شطحا التي تحوّل قسم من أراضيها إلى ملكية للمرشد، حيث كان يُمضي في بداية الدعوة فصل الشتاء. وكان لوكيله عيسى سليطين دور في بسط نفوذ المرشدية في بعض قرى الغاب الغربية، والاحتكاك الودي والمسلح بقرى الغاب الأخرى. وهذا ما ستتعرض له في فقرة لاحقة.

بعد الحفة والغاب، انتشرت الدعوة المرشدية في بعض قرى جبل الحلو، مبتدئة من مريمين على يد سليمان العيدي الذي دعا المشايخ والوجوه لاجتماع في منزله، حاثًا إياهم على قبول الدعوة المرشدية وزيارة مؤسسها في جوبة برغال. ولم تكن محض صدفة أن تلاقي الدعوة آذانًا صاغية من فلاحين رفعوا في عشرينيات القرن العشرين راية النضال ضد الاستثمار الإقطاعي لكبار ملّاك حماة. وكانت مريمين من أوائل القرى التي شهرت السلاح في عام 1918 ضد الإقطاعيين الحمويين من آل العظم الذين استولوا في مستهل القرن العشرين على أراضيها. وتمكّن تحالف خمس قرى: مريمين والبياضيّة وقصرايا وعكاكير وعوج من استرجاع الأرض المسلوبة بعد معارك وخصام في أروقة المحاكم. كما خاضت في الوقت نفسه قرى قرمص وبعرين وقصير دير حويث ومعرين الصليب معركة استرداد الأرض في زمن انتشار الدعوة المرشدية. والسؤال الآن: هل إن انتشار الدعوة المرشدية محض صدفة، أم هو ثمرة

تفاعلات نضال الفلاحين ضد الهيمنة الإقطاعية؟ ألا يمكننا القول إنّ أحد أسباب انتشار الدعوة المرشدية في عدد من قرى جبل الحلو كان «انعكاسًا دينيًا» للنضال ضد تلك الإقطاعية للأرض واستثمارها الفلاحين بأساليب متعددة[23]؟ ومهما يكن الأمر، فإنّ باحثي المستقبل سيلقون الأضواء على هذه الأمور، خصوصًا اتخاذ النضال الاجتماعي وجهًا دينيًا يتلاءم ومفاهيم ذلك العصر.

جاء في تقرير رئيس مخفر درك تليل في 21/ 1/ 1939، أنّ سليمان العيدي المعروف بمحيي الدين بك ومعه علي السعيد عادا من جوبة برغال مركز الحركة المرشدية إلى مريمين، فاستقبلهما الأهالي بالعيارات النارية ابتهاجًا. ويأتي محيي الدين بك في المرتبة الثانية بعد المرشد. وسعى محيي الدين، إضافة إلى تجميع الأنصار، إلى الظهور بمظهر الزعيم صاحب الكلمة النافذة، ودليل ذلك الكتاب الذي أرسله في آخر كانون الثاني/ يناير 1939 إلى نجيب آغا البرازي، زعيم حماة، يرجوه فيه السعي لإخلاء سبيل الموقوفين بحماة بجرم حمل السلاح[24].

(23) عبد الله حنا، الفلاحون ومُلّاك الأرض في سورية القرن العشرين: دراسة تجمع بين التاريخ الشفهي والتاريخ المكتوب (بيروت: دار الطليعة، 2003)، الفصل الأول. وكان المؤلف قد زار هذه القرى في عام 1984 لكتابة تاريخ الفلاحين. ولم يكن يدري آنذاك أنّ بعض هذه القرى أو قسمًا من أهلها يسير وراء المرشدية. ومصادفة وفي أثناء زيارة أحد البيوت، رأيت صورة إنسان تتصدر حائط الغرفة. وبعد انتهاء الزيارة علمت ممن كان يرافقنا أنها صورة ساجي المرشد. وأخذت أتحيّن الفرص لزيارة جبل الحلو مرة ثانية ومعرفة سرّ انتشار المرشدية في بعض قرى جبل الحلو، من غير أن تتحقق هذه الأمنية.

(24) تقرير الدرك، 21/ 1/ 1939، مركز الوثائق التاريخية، دمشق، ز. د/ 15/ 27.

يلقي تقرير محافظ اللاذقية إلى وزارة الداخلية بتاريخ 18/ 1/ 1951، الأضواء على علاقة الحركة الفلاحية في بعض مناطق مصياف بالحركة المرشدية أولًا، وبالحزب العربي الاشتراكي بعد عقد من الزمن، للوقوف في وجه الإقطاعية الحموية المهيمنة في عدد كبير من قرى جبل الحلو. إذ جاء في التقرير[25]: «عندما وقع الانقلاب الأول[26]، ظهرت بوادر العطف على أبناء المرشد المسجونين، فحصلت من جراء ذلك حركة تنبّه عام بين الأنصار والمريدين. وأقدم في هذه الفترة الشيخ محيي الدين (من) مريمين وكيل المرشد السابق في المنطقة الجنوبية من المحافظة على القيام بنشاط مستقل مدعومًا من بعض السياسيين [والمقصود أكرم الحوراني]، لأغراض تتعلق بمحاربة كبار الملاك». واضح من هذا التقرير، ومن معلوماتنا، أنّ الفلاحين الخاضعين للنير الإقطاعي رأوا في الحركة المرشدية سلاحًا يجمعهم للوقوف في وجه الإقطاعية الحموية المهيمنة في المنطقة. وبعد ضعف المرشدية، وبداية ظهور الحركة الحموية المناهضة للإقطاعية، أخذت تتكون معالم حلف بين هذه الحركة وفلاحي جبل الحلو وغيره من المناطق الخاضعة للاستثمار الإقطاعي. وهذا لا يعني أنّ الحركة المناهضة للإقطاعية في حماة ووريثها الحزب

(25) تقرير محافظ اللاذقية إلى وزارة الداخلية، 18/ 1/ 1951، مركز الوثائق التاريخية، دمشق.

(26) يقصد انقلاب حسني الزعيم في عام 1949، ضد شكري القوتلي والحزب الوطني، الذي جرى في عهده شنق سلمان المرشد. وهذا ما شجع الحركة المرشدية على استعادة نشاطها كما هو واضح من التقرير. ونشير هنا إلى أنّ الفرح عمّ الأوساط الفلاحية الخاضعة لنظام المحاصصة والعلاقات الإقطاعية أملًا في الحصول على الأرض على يدي حسني الزعيم قائد الانقلاب. انظر تفصيلات وافية وموثقة في كتابنا عن الفلاحين الصادر عن الاتحاد العام للفلاحين.

العربي الاشتراكي بزعامة أكرم الحوراني كانا على وفاق مع الحركة المرشدية، بل إنّ الأمر لم يتعد «حلفًا» مناهضًا للإقطاعية فحسب. ولمسنا في أثناء زيارتنا قرى جبل الحلو في عام 1984، مدى تعاطف كبار السن من الفلاحين مع الحزب العربي الاشتراكي.

حاولت الحركة المرشدية التي أخذت تستعيد أنفاسها في جبل الحلو، بقيادة الشيخ محيي الدين، الاستفادةَ من الظروف الجديدة لاستعادة مواقعها السابقة، والبرهنة على أنها ليست ضد النظام الجمهوري في دمشق، حيث جاء في تقرير المحافظ أنّ محيي الدين «تمكّن من جمع شتات من الأنصار»، وجرى «احتشاد أنصار المرشد لاستقبال دولة رئيس مجلس الوزراء، أثناء سفره إلى اللاذقية لحضور حفلة تأبين صالح العلي». وهذا دليل على ما ذكرناه سابقًا عن أنّ المرشدية لم تسر بصورة مطلقة مع خط الانتداب وأعوانه، بل وقفت في منتصف الطريق ومدت الجسور في كلا الاتجاهين. ومن جبل الحلو انطلقت الدعوة إلى بعض قرى العلويين في أرض الجفتلك إلى الشرق من حمص. وليست لدينا معلومات عن هذا الانتشار ومدى تأثيره في صفوف الفلاحين العلويين العاملين في أرض السلطان عبد الحميد منذ العقد الأخير من القرن التاسع عشر.

يبدو انتشار الحركة المرشدية، في ثلاث قرى علوية في الزاوية الجنوبية الغربية من الجولان، غريبًا أول وهلة. فقد وجد فلاحو عين فيت في الحركة المرشدية، بحسب تقديرنا، «ملاذًا» ضد محاولات الأمير فاعور الفاعور رئيس عشائر الفضل المنتشرة في الجولان الاستيلاء على أراضي القرية. وكنا رأينا كيف أنّ الجيش السوري

تدخل في عام 1951، لمنع الصدام بين البدو وفلاحي عين فيت، بما أنّ المنطقة تقع في خط الجبهة على الحدود مع العدو الصهيوني. ومعروف أنّ سلمان المرشد زار عين فيت في زمن لم نسأل عنه بحسب ما ذكر لنا محافظ القنيطرة عرفان طيلوني[27]. ولم تتوقف الحركة في هذه القرى، كما في غيرها بعد وفاة المرشد، بل استمرت بدليل كتاب وزارة المعارف في 19/ 5/ 1953، إلى محافظ دمشق جاء فيه: «أنّ محمد حسين أحد شيوخ قرية الغجر (قضاء القنيطرة) يقوم بدعاية مرشدية»[28].

يمكننا القول إنّ انتشار الحركة المرشدية استند إلى جملة عوامل في مقدمها، بعد الموروث التاريخي وما يختزنه من عوامل روحية وولاءات عشائرية وطائفية، الوضع الاجتماعي لجزء من الفلاحين المنتسبين إلى الطائفة العلوية، خصوصًا عشائر العمامرة والمهالبة والدراوسة. لكن ذلك لا يعني إهمال العوامل الأخرى وظروف المنطقة بعد انهيار الدولة العثمانية ومجيء الانتداب. وجميع هذه العوامل ساهمت في قيام الحركة المرشدية وانتشارها واستمراريتها.

خامسًا: الممارسات «السلبية»

أورد عبد اللطيف اليونس، الشخصية الثقافية السياسية الوازنة والمتحدر من عائلة مشايخ علوية في منطقة صافيتا، الذي كان على صلة وثيقة مع الحركة الوطنية السورية، في مذكراته أنه زار

(27) عرفان طيلوني، مقابلة شخصية، دمشق، 20/ 3/ 1999.

(28) كتاب وزارة المعارف إلى محافظ دمشق في 19/ 5/ 1953، مركز الوثائق التاريخية، دمشق 1953، الإضبارة رقم 5.

محافظ اللاذقية إحسان الجابري، وعرض عليه فكرة إرسال وفد من الشباب المسلم العلوي لزيارة سلمان المرشد، والبحث معه في موضوع انتهاك رجاله حرمة الأمن، والتي تسيء إلى السمعة والكرامة، مثلما تسيء إلى القضية الوطنية والقومية. وأعجبت المحافظ هذه الفكرة وتألف الوفد من: الدكتور علي سليمان الأحمد ومحمود أحمد حبيب وكامل صالح ديب ونديم محمد والدكتور محيي الدين مرهج ومحسن عباس وفؤاد جبارة وأحمد عيد الخيّر ومحرز صقر وعبد اللطيف اليونس. ويضيف: استقبلنا سلمان المرشد - وهو يعرف بعضنا - بدهشة واستغراب، إذ لم يكن يتوقع هذه الزيارة المفاجئة، وقال خير إن شاء الله؟ واشتركنا معه بمباسطة ومداعبة بعض الوقت. وهو لطيف المعشر، وخفيف الظل، ويعرف كيف يساير بحديثه، ويعرب عن وجهة نظره. ثم دخلنا في صلب الموضوع. وأبنا له المخاطر عمليًا ودعائيًا، إذا استمر في مناوأة العهد الوطني ورجاله الأحرار، وأكدنا له أنّ حتمية التاريخ واستمرار مسيرته لا بدّ أن ترغم الفرنسيين، عاجلًا أم آجلًا، على الجلاء. وبعد أن أنهينا حديثنا بدأ هو الحديث ضد المحافظ والعهد الوطني ورجاله وهدأنا من ثورته، واستعملنا معه كلمات مقنعة وغير مثيرة.

استجاب أخيرًا لرغبتنا، وعاهدنا على أن يتوقف عن كل عمل معاد للدولة السورية، ومسيء للوطنيين في اللاذقية. وركّزنا على موضوع القرى التي تُنهب، والمسافرين الذين يتعرض لهم البعض على الطرقات. فوعدنا وعدًا جازمًا بأنه سيعمل للحؤول دون تلك الأعمال، وجعل الأمن مستتبًا في تلك المناطق. وبقينا معه طوال النهار، وتناولنا طعام الغداء عنده، ثمّ ودعنا وقفلنا راجعين. وكان

لطيفًا جدًّا باستقبالنا ووداعنا، وحديثه معنا. ويذكر اليونس أنّ المرشد في أثناء الحديث تلفظ بكلمات حادة قاسية ضد المحافظ وضد رجال العهد الوطني[29].

كلام اليونس تدعمه الوقائع الجارية بدايةً من عام 1939؛ فقرار الاتهام يبيّن ظهور عدد من تشكيلات الفدائيين المسلحة التي قامت في عام 1939 باحتلال مخافر الدرك في الفاخورة وصلنفة ومزيرعة وعين البيضة، وأمست لها السيادة لردح من الزمن على تلك المناطق، إضافةً إلى عدد من قرى الغاب الغربية[30]. ويضيف اليونس في مكان آخر من مذكراته أنّ «الجو السياسي كان يتلبد ويكفهر [...] وندر أن مرّ يوم دون أن تصلنا أخبار عن نهب قرية [...] أو سلب ناس على طريق عام»[31]. وصادف أن جاء وفد من أعيان جبل عامل لزيارة الشيخ سليمان الأحمد برئاسة مفتي صور. وتصدى مسلحون على مفرق قرية سطامو بين اللاذقية وجبلة، وسلبوا رئيس الوفد وأعضاءه كل ما معهم وحتى لباسهم الخارجي وأحذيتهم. وحينما وصلوا إلى دار الشيخ سليمان الأحمد كانوا حفاة، وليس عليهم ما يسترهم إلّا ملابس داخلية. ثم أرسل الشيخ مع رسول خاص، رسالة إلى سلمان المرشد ومعه لائحة بالأغراض والنقود المسلوبة. ومن الإنصاف للحقيقة والتاريخ أن نذكر أنه فور وصول رسالة الشيخ إلى المرشد أعاد إلى سماحته كل ما ورد في تلك اللائحة دون أي نقص منها.

---

(29) عبد اللطيف اليونس، مذكرات الدكتور عبد اللطيف اليونس، ط 2 (دمشق: مطابع مؤسسة الإسكان العسكرية، 1997)، ص 85.

(30) انظر محاضر جلسات المحاكمة في صحيفة الأيام (سورية).

(31) اليونس، ص 67.

يبدو أنّ بعض الجماهير السائرة وراء سلمان المرشد انطلقت من عقالها تضرب خبط عشواء، وهذا ما يفسر تلك الانتهاكات التي رافقت الحركة المرشدية في صعودها، مستفيدة من الأوضاع السياسية المضطربة، وسعي سلطات الانتداب الفرنسي إلى تحجيم قوة الحركة الوطنية السورية، وإنهاء حكم الكتلة الوطنية. فقد جاء في تقرير محافظ اللاذقية أنّ سلمان المرشد «فرض» - في عام 1938، وما بعده - «جمع أموال الوقف والزكاة والضرائب الأميرية ورسوم عقد الزواج ورسوم النفوسية وبيوع الحيوانات وضرائب أخرى لصندوقه»[32]. وتقارير الدرك تشير كثيرًا إلى قيام أنصار المرشدية «بجمع النذور والإتاوات»، والقيام بالاستيلاء على أموال الغير ومواشيه وأثاثه[33]. ولعلّ تبرير هذه الممارسات من قائد الحركة هو: تمويل نشاط الحركة ودعم مواقع قائدها والظهور بمظهر الوجاهة والأبهة أمام الغير. ويبدو أنّ هذه العملية والممارسات الجامحة خالطها الشطط، وسار بعض المتطرفين في الحركة أشواطًا بعيدة في عملية ابتزاز الأموال أو القيام بالسلب والنهب تحت الذرائع المختلفة. وثمة أمثلة كثيرة مدفونة في بطون كتب التاريخ عن ابتعاد كثير من قادة الحركات الثورية ورجالها عن أهداف الحركة التي دعوا إليها، وتحولوا مع الزمن إلى أصحاب ثروات لا يتميزون عمّن سلفهم. وكان هذا الأمر يدفع المتضررين إلى المقاومة، ورفض سياسة ابتزاز الأموال والاستيلاء على جهد الآخرين. جاء في تقرير الأمن من 22 إلى 28 آذار/ مارس

(32) تقرير محافظ اللاذقية في 18/ 1/ 1951.

(33) تقارير الدرك، مركز الوثائق التاريخية، إضبارة وزارة الداخلية لعام 1939.

1939[34]، أنّ «بعض أتباع المرشد يتجولون في قرى تلكلخ لجمع المال [...]. حضر سبعة أشخاص مسلحين من أتباع المرشد لقرية حامور، وأخذوا المدعوين [...] لقرية مريمين لأنهما تمنّعا عن دفع رسم الزواج [...]. أُوقفا ليلة واحدة وأخلي سبيلهما». ويبدو أنّ «التعديات» - بحسب تقرير الأمن - كانت كثيرة، ما دفع بالمرشد إلى زيارة منطقة جبل الحلو في أول آذار/ مارس 1939، للتحقيق في التعديات. ويذكر تقرير الأمن الآنف الذكر أنّ «المرشد تجوّل في بعض قرى مصياف لتهدئة جماعته ومنعهم من التعديات». وتقارير الدرك في عام 1939، تشير إلى هذه الأعمال، نذكر بعضها كما وجدناها في أرشيف الوثائق التاريخية:

جاء في تقرير محافظ حماة إلى وزارة الداخلية بتاريخ 4 نيسان/ أبريل 1939، «أنّ سلمان المرشد حضر بتاريخ 30 أيار/ مايو 1939، إلى قرية الخندق الغربي ومعه 200 مسلح، فاستقبل من الأهلين بالطلقات النارية» ابتهاجًا. و«طلب من مخاتير الغاب السنّيين التابعين قضاء إدلب دفع عشرة قروش عن كل شخص، وإعطاءه ربع الحليب الذي يعطونه إلى متعهدي الجبن [...] فأجابوه بالرفض»[35].

«عيسى سليطين من أتباع المرشد طلب من قرية زور الضيعة تسليمه حاصلات الملّاك عبد الكريم الرستم. ورابط عيسى في الخندق العميق مع ستين مسلحًا». و«في 14 أيار/ مايو 1939،

(34) تقارير الدرك، مركز الوثائق التاريخية، إضبارة وزارة الداخلية لعام 1939.

(35) تقرير محافظ حماة إلى وزارة الداخلية في 4 نيسان/ أبريل 1939، مركز الوثائق التاريخية، الداخلية د/ 15/ 11.

هاجم مسلحو المرشد قرية زور الضيعة، وسلبوا حاصلات الفول وثورين و3 كدش عائدة إلى حميدان مكيدوس، وتوجهوا إلى الخندق العميق»[36].

أورد محافظ حلب في تقريره نقلًا عن تقرير رئيس مخفر قلعة المضيق بتاريخ 13/ 4/ 1939، أنّ «عيسى سليطين طلب من وجهاء قرية الكريم ما يلي[37]: إعطاء أعشار محصولات القرية إلى سليطين [..]. إعطاء ربع جميع الأرزاق والمواشي الموجودة في القرية [..]. دفع بدل طريق عن كل شخص 15 قرشًا [..]. كلما تزوجت ابنة من قرية الكريم يأخذ سليطين خمس ليرات ذهبية [..]. إعطاء سليطين 25 شخصًا للعمل في شق طريق جوبة برغال الشطحا»[38].

جاء أيضًا في تقرير محافظ حلب: أنّ أهل قرية كريم أخذوا يتهيؤون للرحيل، وبعضهم رحل خوفًا من السلاح المتوافر في أيدي جماعة سليطين. وفي أول حزيران/ يونيو 1939، طلب المرشديون من أهالي قرية المضيق وقرى الغاب الأخرى «مدّهم بالمعونة اللازمة وهددوهم»، ولهذا طلب المحافظ من وزارة الداخلية «اتخاذ التدابير اللازمة»[39] التي لم يكن بوسع الدولة السورية آنذاك

---

(36) الوثائق التاريخية، تاريخ الوثيقة 28 أيار/ مايو 1939. والملّاك هو عبد الكريم الرستم من الصقيلبية.

(37) رسالة محافظ حلب إلى وزارة الداخلية في 4/ 6/ 1939. مركز الوثائق التاريخية، إضبارة وزارة الداخلية.

(38) وهكذا نُفّذ شق هذا الطريق بجهد الفلاحين المتبرعين أو المكرهين على العمل والمسافة 13 كلم.

(39) الوثائق التاريخية، تاريخ الوثيقة 28 أيار/ مايو 1939.

اتخاذها[40]. وفعلًا قام محمد الحمصي[41] انطلاقًا من قرية الخندق العميق بسلب القرى التي لا تدفع المعونة المطلوبة. وكان خوف أهل الغاب من التعديات وفرض جباية الأموال عارمًا، بحسب ما ورد في تقرير محافظ حلب بتاريخ 25 حزيران/ يونيو 1939.

ننقل في ما يلي كتاب المرشد في آخر أيار/ مايو 1939 إلى كل من وجهاء قرية المضيق والصقيلبية[42]: «تسمحوا لنا في كمية من الحنطة إلى الشعب لعدم وجود الحب والطحين عندنا واللاذقية بعيدة عنّا. ما كان أحوجناكم في المعينة[43]، ونحن لنا على بعضنا البعض فضلًا سابقًا. أجدادنا وأجدادكم كانوا في المصيبة واحد. ونحن الآن لا نترك عشيرة الجقلية إلّا نأخذ منهم الحق ونحرّمهم التعديات ويخضع[44] لأمرنا[45] إذا كان ترسلوا شيء عملوا بالمعونة وإذا ما أرسلتم شيء نزعل جدًا بالحيث[46] مالكم عذر لوجود الحَب[47] عندكم. وهذا ما لزم عرفناكم. محبكم سليمان المرشد».

---

(40) عن الأوضاع في تلك الفترة، انظر: عبد الله حنا، الحركة العمالية في سورية ولبنان: 1900-1945 (دمشق: دار دمشق، 1973)، الفصل الخامس.

(41) حكمه المجلس العدلي في عام 1949 بالسجن 15 سنة والإبعاد عن محافظة اللاذقية 15 سنة أخرى.

(42) رسالة محافظ حلب.

(43) هكذا وردت ونرى أنّ المقصود هو: ما كنا طلبنا منكم يد العون لولا حاجتنا الماسة إليها.

(44) هكذا وردت والصحيح ويخضعوا.

(45) ويبدو أنّ الرسالة تذكّر بالعمل المشترك ضد تعديات البدو السابقة.

(46) هكذا وردت ولعله قصد كلمة حيث.

(47) يقصد الحنطة.

بسبب اضطراب حبل الأمن في مناطق عدة من محافظة اللاذقية في عام 1939، سعت الحكومة السورية المهيضة الجناح بتوجيه شكوى بتاريخ 3 أيار/ مايو 1939، إلى المفوّض السامي لدى الجمهورية السورية، تشكو فيها ورود شكوى من آل شريتح «من أنّ أشخاصًا مجهولين أقدموا على قطع عدد من الأشجار المثمرة وإتلافها في أملاكهم في قرية ستخبرس قرب اللاذقية»، وتطلب الحكومة السورية وضع حد حاسم لهذه الحالة الشاذة. كما نقلت الحكومة السورية إلى المفوض السامي شكوى عبد القادر شريتح من «السلب والنهب»، لأنّ الأمن يقع على عاتق السلطة الفرنسية، ولا يصح السكوت عن الإخلال بالأمن[48]. ومع أنّ الشكوى كانت ضد مجهول، إلّا أنّ الشكوى المرفوعة من آل شريتح إلى المحافظ، ومن ثمّ إلى دولة رئيس مجلس الوزراء، ومنه إلى المفوّض السامي، والمكتوبة باللغة الفرنسية، ومنسوخة على الآلة الكاتبة، ومحفوظة في إضبارة سليمان المرشد في وزارة الداخلية، دليل على أنّ أصابع الاتهام موجهة إلى صاحب الإضبارة[49]. ولا يخفى أنّ صاحب الإضبارة هذا أفسح في المجال للفلاحين من مريديه، لرفع راية «العصيان» ضد نفوذ عدد من العائلات الإقطاعية المتنفّذة آنذاك في الساحل السوري وسهل الغاب. ومن اللافت وقوع الخلاف بين الراعي

(48) شكوى الحكومة السورية إلى المفوض السامي، في 3 أيار/ مايو 1939، الوثائق التاريخية/ الداخلية د/ 15/ 11.

(49) مما لا شك فيه أنّ الخلاف على ملكية الأرض بين آل شريتح وهم من زعماء مدينة اللاذقية ومن كبار ملّاك الأرض، والفلاحين العلويين الذين تولت الحركة المرشدية الدفاع عنهم هي مفتاح فهم هذه القضية.

السابق والزعيم الصاعد سلمان المرشد، ووجيه الجوبة محمد عيسى الذي رأى في الحركة المرشدية بداية لإلغاء وجاهته. ولهذا انقسم أهالي الجوبة بين مؤيد للحركة ومعارض لها، وجرى صدام دامٍ أدى إلى تهجير المعارضين من الجوبة لمدة من الزمن.

سادسًا: ملّاك الأرض و«تمرد» فلاحيهم السائرين وراء المرشد

سار سلمان المرشد في طريق الاستيلاء على أراضي بعض الملّاك من مختلف الطوائف السنّية والعلوية والمسيحية. وبغض النظر عن قانونية هذا الإجراء أو عدم قانونيته، فنحن لا نعلم المبررات التي استند إليها المرشد في مد يده إلى أملاك بعض كبار الملّاك الذين استولوا على الأرض في أوقات امتدت من آخر القرن التاسع عشر حتى ثلاثينيات القرن العشرين، وجردوا الفلاحين من ملكيتها واحتموا بقانون الأراضي العثماني لعام 1857، لإضفاء هالة على «الملكية المقدسة» التي سلبوها أساسًا من الفلاحين. ولعلّ هذا السبب هو الذي دفع فاتح الابن الأكبر للمرشد إلى التصريح أمام الفلاحين في شباط/ فبراير 1945، أنّ والده سيعيد إلى كل مظلوم حقوقه وأراضيه[50].

أليس تصريح طالب الحقوق فاتح سلمان المرشد في عام 1945، دعوة إلى الإصلاح الزراعي الذي جرى في سورية بعد عقد ونيّف من ذلك الزمن؟ ولا شك في أنّ كثيرين يرون تصريح فاتح

(50) دكر، ص 152.

المرشد خارجًا عن إطار القانون. لكن ألا يحقّ لكل مواطن المطالبة بإنصاف الفلاحين؟

هنا علينا التميز بين المناداة بتطبيق الإصلاح الزراعي، وأخذ أموال الآخرين وممتلكاتهم بعيدًا عن القضاء والقوانين، ويعدّ بابًا من أبواب السلب والنهب خارج إطار القانون. وهذا ما عناه تقرير محافظ اللاذقية في عام 1946، في شان قيام سلمان المرشد بـ «امتلاك العقارات من أراض وبساتين وأبنية في مختلف القرى الخاضعة لنفوذه [...] على أساس أن يظهر بمظهر الوجاهة [...] ادّعى نفسه قيّمًا على أوقاف المزارات ومالكًا لها، كما نصّب نفسه وريثًا لكل من يتوفّى دون وارث. ثم طلب تسجيل كل هذه العقارات باسمه فآزرته الحكومة المحلية آنذاك، وكلّفت موظفي التحديد بمساعدته. وأجريت أعمال المساحة في جو من الضغط [...]». وعلى ذمّة التقرير: «أنّ الناس أُجبِروا على توقيع سندات بيع أملاكهم للمرشد»، بحسب ما ورد في تقرير محافظ اللاذقية الآنف الذكر.

ثمّة في كل مكان من سورية روايتان تتعلقان بملكية الأرض، كما في سطامو: الرواية الفلاحية، ورواية ملّاك الأرض، وكان تقرير محافظ اللاذقية منحازًا إلى ملّاك الأرض. وهنا وقف سلمان المرشد إلى جانب فلاحي سطامو، وساندهم في عرقلة تطويب الأرض باسم وجهاء اللاذقية. وتمنّع فلاحو سطامو، بمساندة من المسلحين السائرين وراء المرشد من إعطاء المحصول في عام 1939 إلى إقطاعيي اللاذقية. ورأت الجهات الرسمية في هذه العملية تمردًا أحدث دويًا في المنطقة. واستغل المرشد اضطراب الأوضاع

السياسية فاتخذ من سطامو مركزًا جديدًا له على شاطئ البحر إلى الجنوب من اللاذقية، وبذلك أصبحت طريق اللاذقية - طرابلس - بيروت في متناول يده. ومنع رجال المرشد المسّاح من مسح أرض تمهيدًا لتطويبها، بعد أن اشتراها من وجهاء اللاذقية عبد الله سكاف أحد تجار اللاذقية. ويعود سبب الخلاف إلى امتلاك 500 دونم في قريتي الميزة والكراك.

كما سعى أنصار المرشدية - بحسب رواية المحافظ - إلى الاستيلاء على أملاك أشخاص من عشيرة الحدادين العلوية في قرية الهنادي. فهبّ علي الكنج، أحد رؤساء هذه العشيرة للدفاع عنهم. وكما هي الحال في معظم أنحاء الريف، فإنّ الولاءات العشائرية تؤدّي دورًا واضحًا في عملية جريان التيار الاجتماعي. وفي الوقت نفسه عقد المرشد في عام 1938 اتفاقًا مع وجهاء ناحية المهالبة من آل خير بك، ومع سليمان عيسى وجيه قرية الجنينة. لكن الخلاف سرعان ما استعر بين المرشد وآل خير بك، وكانت له أصداؤه المعروفة في المنطقة[51].

بعد أن بدأت السلطة الوطنية توطّد أقدام الدولة السورية الناشئة في اللاذقية وجبالها، سعت إلى حل الخلافات على ملكية الأرض المتنازع عليها بين المرشد وملّاك الأرض. وقامت حكومة الاستقلال بمفاوضة المرشد وتوصلت إلى إقناعه - بحسب تقرير محافظ اللاذقية - بحلّ قضاياه بطريقة التحكيم. فانتخب هو وخصومه الذين قبلوا هذا المبدأ رئيس مجلس الوزراء في ذلك

(51) نقلًا عن إضبارة سليمان المرشد، مديرية الوثائق التاريخية، وثائق الدولة/ الداخلية د/ 20/ 33.

الحين حكمًا بينهم. فعيّن هذا الحَكَم لجنة خاصة اختارها من خيرة القضاة، كان على رأسها القاضي محمد علي الطيبي، وكلّفها درس هذه القضايا والبت فيها وفقًا لصك التحكيم. فاجتمعت اللجنة وحققت ودرست طوال ثلاثة شهور. لكن اللجنة فشلت في تحقيق غايتها بعد أن فوجئت - وفق تقرير محافظ اللاذقية - بإنذار من المرشد منظّم بحسب الأصول بعزل رئيس الوزراء والمحكمين الفرعيين من التحكيم. فلم تتمكن اللجنة من إجراء مهمتها، وبقيت الخلافات القائمة معلقة من دون حل[52].

يذكر تقرير محافظ اللاذقية أنّ سلمان المرشد «امتلك ما ينوف عن خمسين قرية، وسجّل فيها على اسمه واسم زوجاته واسم أولاده ما يقارب 900 هكتار [...]، ما جعله يتفاخر بأنّ أملاكه تمتد من البحر إلى النهر»[53]. وهنا تنقصنا الوسائل للتحقق من تقرير محافظ اللاذقية في عام 1946، كما نفتقر إلى مصادر المرشد وذريته ومريديه في نفي عملية التملك هذه أو إثباتها، وما هي مبرراتها[54].

تدلّ بعض الوثائق القليلة المتوافرة بين أيدينا على أنّ سلمان جوية برغال الفقير والمولود في عام 1907، أصبح في أول أربعينيات

---

(52) تقرير محافظ اللاذقية في 1946.

(53) المقصود من ساحل البحر الأبيض المتوسط إلى نهر العاصي في جريانه مخترقًا سهل الغاب.

(54) تقتضي الدراسة العودة إلى سجلات الطابو للتأكد من دقة تقرير المحافظ، وهذا الأمر صعب المنال في الظروف الحالية. كما نرى أنّ الأوان قد آن لقيام أنصار المرشدية بالكتابة عن هذه الحركة ومناقشة أقوال الغير فيها، بدلًا من أن يتركوا الأمر لغيرهم لكتابة تاريخهم. فهم أجدر من يقوم بهذا الأمر.

القرن العشرين من ملّاك الأرض المعروفين وصاحب ثروة مالية بالغت، على ما يبدو، الصحف والكتب في مقاديرها. فعلى سبيل المثال يذكر مراسل صحيفة الأيام في اللاذقية «إنّ ثروة المرشد تبلغ مئات ألوف الليرات. وإنّ الحكومة حجزت، بعد اعتقاله إداريًا، مبلغ 31 ألف ليرة للمرشد في شركة «إمبريال» للدخان. ويقول العارفون إنّ لدى المرشد كثيرًا من النقد الذهبي والورقي»[55].

بين أوراق إضبارة سلمان المرشد في مديرية الوثائق التاريخية[56]، طلب يعود إلى عام 1951، مقدَّم من أرامل سلمان المرشد: ليمونة بنت داوود حسن وشريفة الخرطبيل وصديقة بدور، وأولاد سلمان: سميع ومجيب وأمير «يتشرفون من وزارة الداخلية أن يصبح البالغون أوصياء على أملاك سليمان المرشد». ما مساحة هذه الأملاك؟

جاء في وصية سلمان المرشد قبل إعدامه ما يشير إلى قسم من ثروته: «أوصي بأولادي القصّر [...] ديوني بموجب سندات مودعة عند الحكومة [...] إعطاء زوجتي شريفة الخرطبيل كل ما تطلبه. وتسليم ولدي الصغير نور الدين ألفًا وستمئة وإحدى وستين ليرة ذهبية خاصتي عند الحكومة، وهي التي كانت موجودة عند حسن جورية». وأعطى المرشد ساعة يده وخاتمين ذهبيين إلى رئيس المجلس العدلي فؤاد المحاسني راجيًا أن يسلّمها إلى ابنه سميع[57].

(55) نقلًا عن صحيفة الأيام لمراسلها في اللاذقية في أثناء محاكمة المرشد في 26/ 11/ 1946.
(56) إضبارة سليمان المرشد.
(57) صحيفة الأيام (سورية)، 18/ 12/ 1946.

سابعًا: المرشدية في مذكرات أكرم الحوراني

كان أكرم الحوراني، قائد الحركة الفلاحية في أواسط سورية، مناهضًا لكبار الملاك وتحديدًا إقطاعيي حماة، وكان وجيهًا سياسيًا، علمانيًا، له بصماته الواضحة في تاريخ سورية منذ منتصف القرن العشرين. كان الحوراني، وهو نائب حماة منذ عام 1943، معارضًا سياسيًا للحزب الوطني خليفة الكتلة الوطنية. ولا يمكن اتهام الحوراني، وهو السنّي مولدًا والعلماني فكرًا، بالتعصب ضد حركة ذات وجه ديني، مع الإشارة إلى أنّ فلاحي المرشدية في جبل الحلو أيدوا الحوراني وحزبه العربي الاشتراكي في النضال المشترك في عام 1951 ضد الإقطاعية.

خصص الحوراني في مذكراته، المكتوبة في ستينيات القرن العشرين في منفاه في باريس، فصلًا عن المرشد. وعلى الرغم من حساسية ما كتبه الحوراني استنادًا إلى ذاكرته عن المرشدية، ونقْلِه بالتفصيل ما كتبته صحيفته اليقظة عام 1946، رأيت أن أنقل بصفتي مؤرّخًا بعضًا مما له علاقة بموضوع هذه الدراسة، من دون أن يعني ذلك الموافقة أو عدمها على ما جاء في المذكرات. ودفعتنا إلى ذلك الرغبة في إبراز وجهة نظر شخصية سياسية مرموقة في الحركة المرشدية وهذه الشخصية، لم تكن من رجال الحكم الذين جرى إعدام المرشد في عهدهم. ويعبّر ما كتبه الحوراني عن رأي كان منتشرًا في الأوساط السورية في قضية سلمان المرشد. وجاء في المذكرات: «كان الناس يتناقلون باستمرار أخبارًا لا يصدّقها العقل عن الدولة التي أنشأها (سلمان المرشد) في قرية (جوبة برغال)، على الرغم من أنه كان نائبًا في البرلمان السوري. وفي

12 أيلول/ سبتمبر 1946، نشرت إحدى الصحف نبأ عن اعتداء بعض الأشقياء على سيارة قائد لواء الدرك في اللاذقية، فسارعت وزارة الداخلية لتكذيب هذا النبأ - وهو صحيح - وقالت في بلاغ رسمي: «إنّ الحكومة وجدت من المناسب إرسال قوات من الدرك لمحافظة اللاذقية، بصورة احتياطية، لتنفيذ ما قررته اللجنة المؤلفة تحت إشراف محافظ اللاذقية من تأمين إعادة بعض فلاحي قرية جوبة برغال إلى أراضيهم المغصوبة التي كانوا قد نزحوا عنها على أثر حوادث عام 1945، وإعادة الأراضي التي وضع السيد سلمان المرشد يده عليها في قرية قلعة المهالبة إلى أصحابها، كي يتمكنوا من استثمارها وفلاحتها بصورة هادئة، وليكون عامة الأشخاص المعادين[58] إلى جوبة برغال وقلعة المهالبة في أمان واطمئنان في حمى القانون»».

بعد هذه المقدمة نشر الحوراني المقالات التي نشرتها صحيفته في خريف 1946 عن الموضوع. وفي ما يلي بعض ما ورد فيها: «يقول بلاغ الحكومة أنها عمدت في بداية الأمر إلى تأليف لجنة لحل الخلاف بين الطرفين [أي ملّاك الأرض من وجهاء اللاذقية والمرشد] وكان ذلك برضائهما. ثم تواردت إليهما الأنباء تشير إلى أنّ المرشد لا ينوي التقيد بقرار اللجنة الآنفة الذكر [...]، فأرسلت قائد اللواء الخامس للإشراف على الوضع. وما أن بلغ موقع (العويرة) الذي يبعد 6 كيلومترات عن (الجوبة) حتى تساقط عليه وعلى جنوده الرصاص من كمين بثّه سلمان المرشد، فقابله الدرك بالمثل واستمرت المعركة ساعات تشتت على أثرها العصاة، ثم

---

(58) أي العائدين بعد أن هجرهم مريدو المرشد.

تقدمت قوات الدرك فاحتلت الجوبة وساقت المرشد إلى اللاذقية. وقد استشهد أثناء المعركة الملازم أول جميل هلال والدركي طاهر مكانس، وجرح فريق من الضباط، وذهب اثنا عشر فلاحًا مسكينًا قافلة أخيرة من ضحايا [...] وقبل أن يستسلم المرشد أفرغ رصاص مسدسه في رأس إحدى زوجاته [..] كما أنّ ابنه (فاتح) اعتقل أيضًا».

«إنّ معركة جوبة برغال الأخيرة ليست كالمعارك التي دارت بين الحكومات العثمانية والفرنسية ومن شقوا عليها عصا الطاعة من أبناء الجبل»، «بل هي معركة إنقاذٍ لشرف هذه البلاد وسمعتها»[59].

«إنّ ما يدعونا للعودة من جديد لبحث فتنة جوبة برغال هو جهل الكثيرين من المواطنين شؤون هذه المناطق جهلًا تامًّا، مع أنها من أخطر المناطق السورية وأهمّها. ولذا فنحن نخشى أن يرتكب المسؤولون بعض الأخطاء في معالجة فتنة سلمان المرشد، فتؤدي أعمالهم بالبلاد إلى أسوأ النتائج. ولا يخفى أنّ جميع أتباع سلمان المرشد هم من القرويين السذج البسطاء»[60].

(59) صحيفة اليقظة، 17/ 9/ 1946.

(60) صحيفة اليقظة، 19/ 9/ 1946.

خاتمة

هل راودت سلمان المرشد فكرة تأسيس دولة؟ يتهم تقرير محافظ اللاذقية لعام 1946 المرشد بأنه «نادى بنفسه رئيسًا للشعب الحيدري الغساني» و«شكّل دولة خاصة، دعمها بتشكيلات عسكرية مسلحة بلغ عدد أفرادها أحيانًا ألفي نسمة»[1]. ما مدى المبالغة في تقرير محافظ اللاذقية؟ وهل في إمكان مجموعات فلاحية منغلقة على نفسها ومبعثرة وتسودها الأمية تشكيل دولة؟ حتى لو كانت هذه الدولة ذات صفة خاصة؟ وهل يعقل أن ينجح المرشد في إقامة دولة وأكثرية العلويين تناصبه العداء أو تقف على الحياد؟

إن مشايخ العلويين لم ينظروا بعين الرضى إلى حركة تأخذ قسمًا من أفراد الطائفة وتنفصل عنها. والمثقفون العلويون سعوا لكبح اندفاعة المرشد، كما بدا واضحًا من الوفد الذي زار المرشد كما ورد في مذكرات عبد اللطيف اليونس. ورأى رؤساء العشائر والمقدمون في الحركة منافسًا لنفوذهم وتهديدًا لوجاهاتهم. ومع تصاعد أمواج الحركة القومية العربية المنطلقة من المدن السورية الداخلية، رفع القسم الأكبر من المثقفين العلويين رايات النهضة

---

(1) تقرير محافظ اللاذقية في عام 1946.

العربية، وهللوا من أعماق قلوبهم لها. وليس صحيحًا ما كان شائعًا عن رغبة العلويين في تشكيل دولة خاصة بهم. فالدولة الوطنية السورية الناشئة بمنطلقاتها العلمانية وخطها العروبي وشعار رجالاتها رافعي راية «الدين لله والوطن للجميع»، دفعت بمشاعر السكان العلويين إلى تأييد هذه الدولة وعدّها دولتهم. وزالت مشاعر الخوف الكامنة في نفوسهم جراء سياسة السلطنة العثمانية واضطهادها لهم.

دعم العلويون في فجر الاستقلال إجراءات السلطة الوطنية في تدعيم هيبة الدولة والسير في ترسيخ الوحدة الوطنية السورية، ولهذا لم يكن النجاح مضمونًا لأي حركة انفصالية في الجبل العلوي. والحركة المرشدية ذاتها لم تناد بالانفصال عن الدولة السورية كما يُشاع، بل كان لقائدها وجهة نظر في أسلوب تعامل الحكومة معه ومع تياره، مراعين وضعه النفسي ومفاهيمه، وهو يرى جموعًا فلاحية تسير وراءه على السراء والضراء، وهي تحلم بتغيير أوضاعها البائسة.

بعد إعدام المرشد في عام 1946، تعرضت الحركة للتشريد والاضطهاد والظلم. ففاتح[2] ومعه أولاد سلمان البالغين وعدد من

(2) نرى أنّ الظروف والقدر قادا إلى المصير المفجع الذي آل إليه فاتح المثقف والمتفهم للأوضاع، فأمضى زهرة شبابه في السجن. فقد أفاد فاتح في جلسة المحاكمة في 26/11/1946: «إنني أعيش حياة عزّ وثقافة، وليس من المعقول أن أجنح إلى الشقاوة». وكان كاتب هذه الأحرف، بسبب عطفه الغريزي على المظلومين، يتطلع إلى تتبع حياة فاتح، وإعطائه تاريخيًا حقه، ولم تسمح الظروف بتحقيق هذه الأمنية.

مؤيدي الحركة حُكم عليهم بالسجن لمدد مختلفة. ونُفي باقي أسرة المرشد ومجموعة من أنصاره إلى الجزيرة ووادي الفرات[3]. وكما ذكرنا في المقدمة مرّت المرشدية بمراحل عدة، ولا تزال مستمرة ومتماسكة، ويكتنف الغموض كثيرًا من منطلقاتها، وتوجّه إليها الاتهامات من قوى متعددة، وتنطلق شائعات كثيرة في شأنها. فعليها أن تدخل الميدان بوجه واضح لا لبس فيه، مبيّنة ما لها وما عليها. فالمرشدية لها الحق في الحياة، كغيرها من الحركات الدينية ذات الخلفيات الاجتماعية التي عرفها التاريخ العربي الإسلامي.

---

(3) نور المضيء مرشد، لمحات حول المرشدية: ذكريات وشهادات ووثائق (بيروت: نور المضيء مرشد، 2007).

ملحق
نصوص منقولة عن المرشد

(1)

يعرض كتاب لمحات حول المرشدية لمؤلفه نور المضيء مرشد الذي هو ابن سلمان المرشد، والشقيق الأصغر لساجي إمام المرشديين الذي عايش الدعوة المرشدية ومفاصلها التاريخية عن كثب، وفيه يعرض قصة المرشدية على طريقة السيرة الذاتية، لكنها ليست سيرة ذاتية فحسب، بل سيرة يتشاكل فيها العام والخاص، والديني والسياسي والاجتماعي. وهي وثيقة كتبها نور المضيء مرشد بن سلمان. ووفق هذا الكتاب فالمرشدية هي:

«دين وليست حزبًا سياسيًا، هي منهج أخلاقي طاهر بقصد اكتساب رحمة الله ومواصلة عزّته. وهي ليست نظامًا اجتماعيًا معيّنًا، ولا برنامجًا اقتصاديًا، هذا المنهج الأخلاقي والمسلك النفسي والمنطق العقلي متأتٍ من وجدانية مقتبسة من منجاة الله، فالمرشدية فعل منجاة وتعظيم للارتفاع إلى الحياة، وليست سوى ذلك. وهي تعتني بطهارة السريرة لا بقوانين الإدارة. وهي تبارك كل ما من شأنه تهيئة اكتمال الفرد، وإبراز جمال المجموع، وترفض كل ما من شأنه

إعاقة كمال الفرد وتشويه جمال المجموع. يهمنا أن يكون الفرد إنسانًا عزيزًا، يتمتع باستضاءة فكرية وطهارة قلبية. أن يصل ويكتمل الفرد بالأصالة الإنسانية الفاضلة، ومن هذه الأصالة أن ينطلق إلى الأصالات العليا، والأصالة تتمثل في خمسة أشياء: ضمير طاهر مستجلى من الإيمان بالله والانسجام مع صفاتِهِ القدسية [..] وفكر وامض من التماس الحقيقة [..] وقلب نابض بالطموح إلى الكمال الروحي وإرادة الحياة [..] وقدم ثابتة الصف مع قضايا الحق [..] ويد ممدودة بالخير للناس أجمعين.

(2)

تحت عنوان «المرشدية دين الحرية» كتب محمد علي عبد الجليل يقول المرشدية هي منهج إصلاحي أخلاقي ديني إسلامي [الدينُ عندَ اللهِ الإسلام؛ وفي كلِّ دينٍ نورٌ من اللهِ وإسلامٌ لله؛ نحنُ نؤلِّهُ اللهَ ونحبُّ من نريد] عالمي يُعنَى بسلامةِ السريرة وطهارتها لا بقوانين الإدارة، تَأسَّسَ في 12 تموز/ يوليو 1923، وأُعْـلِـنَ بتاريخ 25 آب/أغسطس 1951؛ فيكونُ الخامسُ والعشرون من آب/ أغسطس من كل عام عيدَ المرشديين الوحيد والمسمّى (عيدِ الفرح بالله). وأكثر ما يميِّزُ المرشديةَ هو إلغاؤها السلطة الدينية، إذ لا يوجد كهنوت ولا مشايخ ولا تبشير ولا دعوة إلى الدين، إنّما يُعطى الدينُ بناءً على طلب المريد [...]. فهي إذًا ليست نظامًا اجتماعيًا ولا حزبًا سياسيًا ولا برنامجًا اقتصاديًا [...]، طهارةُ السريرة مقدَّمَـةٌ على الشريعة. فالشريعة مؤقَّتة تختلفُ باختلاف الزمان والمكان. والشريعة نصيحة لا أكثر، ولا يوجد إدارة ولا مدير للنصائح.

كما تدعو الحركة المرشدية إلى المساواة بين الرجل والمرأة، فللمرأةِ المرشدية الحقُّ في التعليم الديني والدنيوي ولها الحقُّ في اختيار عملها وشريكها من دون أي إكراه. يحرِّمُ المرشديون الميْتَةَ والدمَ ولحمَ الخنزير، ويعتنون بالطهارة الداخلية النفسية والسيرة الصالحة والأخلاق الحميدة والفضيلة والقيم النبيلة وصحة النظرة إلى الله. ونظرتُهم إلى الخالقِ حُرَّة فلا يقيدونه بالأصفاد. في كلِّ دينٍ حقيقةٌ ونورٌ وإسلام، وليسَ هناكَ من دينٍ يحيط الله. ولهذا يجبُ احترامُ جميعِ الأديان، وعدمُ التهكُّمِ بأيِّ مُعتَقَدٍ مهما بدا غيرَ مقبول. فهم لا يقْبلونَ من أحدٍ أنْ يسيءَ إلى عقيدتهم. إذْ إنهم أكثرُ الناسِ اعتزازًا بدينهم وبمبادئهم. فقد زرعَ فيهم إمامُهم الحريةَ والتحرُّرَ من التبعية والإيمانَ والصدقَ والمحبةَ والعزَّةَ[1] والكرامة.

(3)

ردّ عدد من المرشديين على كتابات مصطفى طلاس في مذكراته المنشورة في بيروت في عام 2004، في فصل بعنوان «وقائع ثلاثة أشهر زلزلت سوريا»، وجاء في أحد الردود حرفيًا:

«المرشدية لا تقول عن سلمان المرشد إلهًا كما ادّعى صاحب الكتاب، وأنا فرد من المرشديين أقول إنّ سلمان المرشد إمام وعبد الله (نحن نؤله الله ونحب من نريد). فالعبادة لله وحده، ولكني أحب سلمان المرشد إلى درجة كبيرة جدًا، لا أستطيع تقديرها وهذا شأني.

(1) محمد علي عبد الجليل، «المرشدية: دينُ الحرية،» *PostPoems*، 28/8/2004.
<http://www.postpoems.org/authors/mabdeljalil/poem/620367>.

إمامنا ساجي بن سلمان المرشد فتح مدرسة، وعلّمنا فيها طرق الخير وإرادة الخير لكل الناس، وأنا كنت في هذه المدرسة، وقد حضرها كثيرون غيري من المرشديين، وأخذوا مفهومهم منها، وأصبح الواحد يتصرف وفق قناعاته وما يمليه عليه ضميره.

ديننا دين نصيحة، كل منا يعمل حسب قناعاته وليس قسريًا، فأنا بصفتي مرشديًا لا أأتمر إلّا بأمر الله.

لا يوجد ربّ للمرشديين وحدهم ورب آخر لباقي الناس (كما يدعي طلاس). الله هو رب السماوات والأرض، فنحن المرشديين نؤلّه الله ونحب من نريد. وسلمان المرشد إمام نقدّسه، ونحبه كثيرًا جدًا. فهو الذي أسس الشعب المرشدي، ووحّده تحت رايته.

أمّا العمل الأعظم الذي قام به سلمان المرشد فإنه مهّد للمهدي، وبشّر بمجيء المخلّص (مجيب بن سلمان المرشد) الذي أعطى الدين، وأعلن الدعوة. والمرشدية هي ديننا. لكنهم إكمالًا لجريمتهم وإطفاءً لنار غيظهم قتلوا المخلص ظنًا منهم أنه بقتل أئمة المرشدية يستطيعون السيطرة على هذا الشعب وابتلاعه نهائيًا. وهكذا كان بيننا أخيرًا إمامنا ومعلمنا باني المرشدية ونحّاتها الفنان إمام العصر (ساجي بن سلمان المرشد).

(4)

يتناقل المرشديون مجموعة من الوصايا منقولة عن مجيب (1930-1952) ومنها الابتعاد عن الفحشاء والخنى (الفحشاء هي الزنى، والخنى كلام العهر) [..]، والتقليل من إشباع شهوات

الجسد [..] وعدم الغضب إلّا على باطل، أو انتصارًا للحق [..] والابتعاد عن الرياء والمخادعة [..] وعدم الحقد على أحد [..] وعدم التحزب إلّا للحق[2].

(2) المراقب الزراعي عصام الحاج إبراهيم وهو من بلدتنا دير عطية عمل موظفًا في شطحا (الغاب الغربي) في ثمانينيات القرن العشرين، وعاش مع المرشديين طوال فترة عمله. وفي حديث معه في دير عطية في صيف 1998، أشاد بالمرشديين منوهًا بأخلاقهم العالية ومعاملتهم الإنسانية وابتعادهم عن التعرض للآخرين بكلمة نابية.

المراجع

كتب

التميمي، رفيق ومحمد بهجت. ولاية بيروت. 2 ج في 1. بيروت: دار لحد خاطر، [1914-1916].

ج1: القسم الجنوبي.

ج2: القسم الشمالي.

الحكيم، يوسف. سورية والعهد العثماني. ط 4. بيروت: دار النهار، 1980. (ذكريات؛ 1)

حنا، عبد الله. الحركة الشيوعية السورية: الصعود والهبوط، دراسة تجمع بين التاريخ الشفهي والتاريخ المكتوب. دمشق: دار نون 4، 2008.

______. الحركة العمالية في سورية ولبنان: 1900-1945. دمشق: دار دمشق، 1973.

______. الفلاحون ومُلّاك الأرض في سورية القرن العشرين: دراسة تجمع بين التاريخ الشفهي والتاريخ المكتوب. بيروت: دار الطليعة، 2003.

خليل، فؤاد. العشيرة: دولة المجتمع المحلي (عشائر جرد الهرمل). بيروت: دار الفكر اللبناني، 1990.

خوندة، محمد. تاريخ العلويين وأنسابهم. اللاذقية: دار المحجة البيضاء، 2004.

دكر، جورج بطرس. سليمان المرشد: مدّعي الألوهية في القرن العشرين. اللاذقية: مطبعة الحداد، 1946.

الدليل السوري. بيروت: مطبعة جدعون، 1922.

سويدان، أحمد. «مذكرات أحمد سويدان: تاريخ من لا تاريخ لهم.» والمذكرات لا تزال مخطوطًا لم يُنشر.

السياف، أحمد نهاد. شعاع قبل الفجر: مذكرات أحمد نهاد السياف. تقديم وتحقيق محمد جمال باروت. [د. م.: د. ن.]، 2005.

الشريف، منير. المسلمون العلويون: من هم وأين هم. بيروت: مؤسسة البلاغ، 1994.

عثمان، هاشم. الصحافة السورية: ماضيها وحاضرها: 2، الصحافة في اللاذقية. دمشق: وزارة الثقافة، 2002. (الدراسات الفكرية؛ 67)

فرح، نعيم [وآخ.]. ملامح من تاريخ الفلاحين في الوطن العربي ونضالهم في القطر العربي السوري. 4 مج. دمشق: الاتحاد العام للفلاحين، [د. ت.]. مج 3: عبد الله حنا، العصر الحديث: المسألة الزراعية والحركات الفلاحية من الاحتلال العثماني حتى الاستعمار الفرنسي.

مرشد، نور المضيء. لمحات حول المرشدية: ذكريات وشهادات ووثائق. بيروت: نور المضيء مرشد، 2007.

مسعد، بولس. دليل لبنان وسوريا. مصر: [د. ن.]، 1913.

مطالب الشعب في الجبل العلوي. دمشق: منشورات الحزب الشيوعي السوري، 1945.

موصلي، منذر. البحث عن الحقيقة: المرشدية وسلمان المرشد، أبو فاتح. دمشق: مطابع الداية، م. الموصلي، 2008.

ياسين، بو علي. عين الزهور: سيرة ضاحكة. دمشق: دار الحصاد، 1993.

يزبك، سمر. صلصال: بيروت: دار الكنوز الأدبية، 2005.

اليونس، عبد اللطيف. مذكرات الدكتور عبد اللطيف اليونس. ط 2. دمشق: مطابع مؤسسة الإسكان العسكرية، 1997.

دوريات

الأحمد، محمد سليمان [بدوي الجبل]. «هدية للعمال من بدوي الجبل، عاطفة شريفة لشاعرنا المحبوب.» صحيفة الإنسانية (بيروت): العدد 4، 1925.

حسن، معاذ. «مدخل لدراسة وضع الطبقة العاملة في محافظة طرطوس ودور الحزب في ذلك.» دراسات اشتراكية: السنة 5، العدد 92، أيار/ مايو 1989.

أطروحة

حسن، سمير. «الاندماج الاجتماعي للمهاجرين الريفيين في الحياة الحضرية لمدينة طرطوس.» رسالة ماجستير، جامعة دمشق، سورية، 1986.

وثائق

إضبارة وزارة الداخلية المتعلقة بسليمان المرشد، مديرية الوثائق التاريخية، دمشق، وثائق الدولة، وزارة الداخلية، د/ 20/ 33.

تقارير الدرك، عام 1939، تاريخ الوثيقة 28 أيار/ مايو 1939، أرشيف الوثائق التاريخية، دمشق.

تقارير الدرك، مركز الوثائق التاريخية، إضبارة وزارة الداخلية لعام 1939.

تقرير الأمن من 22 إلى 28 آذار/ مارس 1939، مركز الوثائق التاريخية، إضبارة وزارة الداخلية لعام 1939.

تقرير الدرك، 2/ 2/ 1939، مركز الوثائق التاريخية، دمشق. ز. د/ 15/ 27.

تقرير رئيس مخفر درك تليل، 21/ 1/ 1939، مركز الوثائق التاريخية، دمشق. ز. د/ 15/ 27.

تقرير محافظ اللاذقية إلى وزارة الداخلية، 18/ 1/ 1951، مركز الوثائق التاريخية، دمشق.

تقرير محافظ اللاذقية إلى وزارة الداخلية، 7/ 10/ 1946، وثائق الدولة، وزارة الداخلية، د/ 15/ 15.

تقرير محافظ حماة إلى وزارة الداخلية، 4 نيسان/ أبريل 1939، مركز الوثائق التاريخية، وزارة الداخلية، د/ 15/ 11.

رسالة محافظ حلب إلى وزارة الداخلية، 4/ 6/ 1939، مركز الوثائق التاريخية، دمشق، إضبارة وزارة الداخلية.

شكوى الحكومة السورية إلى المفوض السامي، 3 أيار/ مايو 1939، مركز الوثائق التاريخية، دمشق، د/ 15/ 11.

كتاب وزارة المعارف إلى محافظ دمشق، 19/ 5/ 1953، مركز الوثائق التاريخية، دمشق 1953، الإضبارة رقم 5.

فهرس عام

-أ-

آل ثابت: 32

آل خير بك: 112

آل سويدان: 18

آل شريتح: 109

إبراهيم، عبد اللطيف: 57

ابن عبده يني: 73

الأحمد، أحمد سليمان: 61

الأحمد، سليمان: 51-52، 104

أحمد، صلاح: 61

الأحمد، علي سليمان: 103

الأحمد، محمد سليمان (بدوي الجبل): 46-48، 62، 65، 76

إدلب: 15، 26

أدونيس انظر سعيد، علي أحمد (أدونيس)

أديب، جمال علي: 55

الأرجنتين: 80

الأرسوزي، زكي: 73

الأرشيف الفرنسي: 92

الأرمن: 73-74، 76

إسبر، عثمان حسن: 26-27

الاستعمار الفرنسي لسورية: 15، 37، 54-56، 63، 65، 92، 94، 102، 105

الأسد، حافظ: 11

أسد، سلمان: 62

أسرب، عبد الغني: 69

أسرب، عبد القادر: 69
اسكندرون: 72-75، 77
الإسماعيليون: 29، 31، 66
الإصلاح الزراعي: 110
الأقليات الطائفية: 44
الأكراد: 25-26
ألمانيا: 70
أميركا: 31-32، 50
الانتخابات النيابية (1947، سورية): 76
إنطاكية: 70، 73

-ب-

باب التبانة (طرابلس، لبنان): 76-77
بابنا (بلدة): 25
البارودي، فخري: 94-95
باريس: 62، 115
بانياس: 15، 27، 29، 49، 61، 74-75
بدور، صديقة: 114
بدوي الجبل انظر الأحمد، محمد سليمان (بدوي الجبل)
البرازي، نجيب: 99
البرجوازية التجارية: 64
بسيسو، معين: 75
البشاورة (عشيرة): 29
بشور، فايز: 78
بكداش، خالد: 73
بنو جابر: 30
بنو حامد: 30
بيت شلف (عشيرة): 26
بيت الشيخ يونس (قرية): 49-50
بيروت: 112
البيطارية (قرية): 9

-ت-

التركمان: 24
تركيا: 73-74
تلكلخ: 15-18، 20-21، 57، 106

التنظيمات العثمانية: 43
التيـــار الوطنـــي في الســـاحل السوري: 52

-ث-

ثورة صالح العلي (1918-1922): 58

-ج-

الجابري، إحسان: 52، 103
الجامعة الإسلامية: 44
الجامعة الأميركية في بيروت: 10
جبارة، فؤاد: 103
جبل الحلو: 9، 17، 19-21، 90، 98-101، 106، 115
جبل عامل: 51، 104
جبل العلويين: 15-16، 45-46، 51-52، 57-59، 63، 65، 70، 77، 79، 85، 120
جبلايا: 18-19
جبلة: 15، 22، 24، 26-27، 55-56، 60، 67-68، 78، 104
جديد، جهاد: 67-68، 70
جديد، محمود: 62
الجردية (عشيرة): 28-29
جسر الشغور: 15، 76
جنيد، محمد: 62
جوبة برغال: 87-90، 92، 95، 98-99، 107، 110، 113، 116-117
جورية، حسن: 114
الجولان: 101
الجيش السوري: 101

-ح-

الحاج حسن، محمد: 76
الحامد، يوسف: 57
حبيب، محمود أحمد: 103
الحدادون (عشيرة): 28-30، 68، 112

الحرب العالمية الأولى (1914-1918): 22، 32، 59
الحركة الوطنية السورية: 92، 94، 105
حريصون (قرية): 22
حزب الإصلاح الريفي: 61
حزب البعث العربي الاشتراكي: 66، 69-70، 72، 76
الحزب السوري القومي الاجتماعي: 32، 48، 66-69
حزب الشعب اللبناني: 47
الحزب الشيوعي السوري: 15، 32، 47، 61، 72-73، 76، 78
الحزب الشيوعي الفرنسي: 46
الحزب الشيوعي اللبناني: 47، 77
الحزب العربي الاشتراكي: 71، 100-101، 115
حزب العمل الشيوعي: 35
الحزب الوطني: 62، 115
حسن، حامد: 53
حسن، حبيب: 61
حسن، زكريا: 79-81
حسن، سمير: 28
حسن، ليمونة داوود: 114
الحسني، تاج الدين: 55
حسية (قرية): 18
الحفة: 9، 15، 25، 27، 72، 85-86، 90، 94، 98
الحكيم، يوسف: 20
حلب: 15، 62، 64
حماة: 15، 54، 98-99، 106
حماميم (قرية): 22
حمص: 9، 15، 54، 77، 101
الحمصي، محمد: 108
حنانيان، إسحق: 74
الحوراني، أكرم: 71، 100-101، 115-116

-خ-

الخرطبيل، شريفة: 114

خرطبيل، محمد: 89
خلاص، يوسف: 75
الخندق الغربي (قرية): 106
خوندة، محمد: 27
الخياطون (عشيرة): 28-30
الخير، أحمد عيد: 103
الخير، عبد الرحمن: 69

-د-

دانتز (الجنرال): 74
داوود، هلالة محمود (أم فاتح): 92، 96
الدراوسة (عشيرة): 26-27، 102
دمشق: 54-56، 58، 60، 62-64، 72، 76-77، 92-95، 101
الدنادشة: 17-18
الدولة العثمانية: 7، 15، 18، 31، 43-44، 56، 63، 102
ديب، كامل صالح: 103

-ر-

رابطة الكتاب السوريين: 77
رابطة الكتاب العرب: 77
رأس الخشوفة: 57
الرسالنة (عشيرة): 30
الرستم، عبد الكريم: 106
رضوان، قاسم: 73-74
الرقة: 90-91، 97
رويحة، أمين: 76
رويحة، رياض: 55
ريف جبلة: 23، 60
ريف طرطوس: 28
ريف اللاذقية: 24

-ز-

الزعبية: 17
زعورة (قرية): 9

-س-

سجن صيدنايا: 35
سطامو (قرية): 24، 104، 111-112

سعادة، أنطون: 68-69
السعودية: 60
السعيد، علي: 99
سعيد، علي أحمد (أدونيس): 46، 48
سكاف، عبد الله: 112
سليطين، عيسى: 98، 106-107
السنّة: 22، 25، 27، 65، 69
سهل عكار: 18
سهل حمص: 18
سورية: 7، 15، 38، 45-46، 51، 65-66، 69، 74، 103، 109-112، 115، 120
سيريس، عبد الجليل: 74
-ش-
الشاوي، نقولا: 81
شحادة، عبد الحق: 10
شركة «إمبريال» للدخان: 114
شريتح، عبد القادر: 109
الشريف، منير: 38-40
شطحا (قرية): 98، 107
الشمالي، محمود: 20
الشمسيون (عشيرة): 30
الشهابي، مصطفى: 59
الشواف، فؤاد: 69
الشيشكلي، أديب: 67
شين (قرية): 9، 18-22
الشيوعية: 73-74، 76، 78
-ص-
صافيتا: 15، 23-24، 30-32، 55، 58، 77، 102
صالح، نجم الدين: 61
صحيفة الأخبار (القاهرة): 8
صحيفة الإرشاد: 48
صحيفة الإنسانية (بيروت): 46-47
صحيفة الأومانيته (باريس): 46
صحيفة الأيام: 87، 93، 95، 114
صحيفة الصاعقة: 55

صحيفة صوت الشعب: 75
صحيفة القبس (دمشق): 39، 62
صحيفة النهار: 61
صحيفة الوعي القومي: 55
صحيفة اليقظة: 115
صدقني، جورج: 72
الصهاينة (سكان جبل صهيون في سورية): 25-26
صيدا: 51

-ط-

الطائفية: 43، 45، 49، 53، 57، 59
طرابلس (لبنان): 20-21، 54، 78، 80، 112
طرطوس: 15، 27-28، 50، 53، 61، 65، 77
طريق حمص - دمشق: 18
طريق طرابلس - حمص: 18
طليع، نصر الله: 45
الطيبي، محمد علي: 113
طيلوني، عرفان: 102

-ع-

عباد، عزيز: 72
العباس، شوكت: 55
عباس، كامل: 35-36
عباس، محسن: 103
عبد اللطيف، إبراهيم: 51
عبد اللطيف، ياسين: 50
عرنوق، زاهي: 53
العشائرية: 43، 45، 49، 54
عصبة العمل القومي: 73
العصبية: 44
العقاد، عباس محمود: 8
عكار: 17
علم الدين، مصطفى: 21
علي بن أبي طالب: 39
العلي، صالح: 58-59، 101
العمامرة (عشيرة): 26-27، 102
عوج (قرية): 9، 98

عيد الفرح بالله: 10
العيدي، سليمان: 98-101
عيسى، سليمان: 112
عيسى، محمد: 89، 110
عين دابش (قرية): 79-81
عين فيت (قرية): 9، 101-102

-غ-

الغاب: 9-10، 90، 98، 104، 106، 108
غانم، عبد اللطيف ياسين: 50
الغانم، وهيب: 69-72، 76
الغجر (قرية): 9، 102
الغوطة الشرقية: 9
الغيبة: 7

-ف-

الفاخورة (قرية): 87، 104
فاعور الفاعور (الأمير): 101
فرنسا: 38، 51، 59، 61، 65، 73-74، 76
فلسطين: 92

-ق-

قانون الأراضي العثماني: 18
قريفيص (قرية): 49
قلعة صلاح الدين (قلعة صهيون): 26
القنيطرة: 9
القوتلي، شكري: 56-57
القومية: 44
القومية العربية: 56-57

-ك-

كامل، محمود علي: 61
الكتلة الوطنية (سورية): 38، 51، 54-56، 62-63، 65-66، 92-93، 95، 105، 115
كسب: 74، 76
الكنج، شفيق إبراهيم: 68
الكنج، علي: 55، 112
الكنج، فاضل: 68
كومين، جاد: 45
الكيلاني، عبد القادر: 17

-ل-

اللاذقية: 15، 24-27، 39، 45-46، 50-52، 54-57، 59، 65، 69-70، 72، 74-79، 87، 90، 92، 94-95، 100-101، 103-105، 108-109، 111-116

لبنان: 68

لواء حماة: 15

لواء اللاذقية: 15

-م-

ماخيام، أرتين: 73-74

ماركس، كارل: 76

الماركسية: 61

المالكي، عدنان: 68

المتاورة (عشيرة): 28-30، 62

مجزرة الأرمن (1915): 73

مجلة صوت الحق: 48

مجلة صوت القرية: 78

مجلة العرفان: 51

مجلة المكشوف: 54

مجلة النهضة: 53

مجلة النور: 45

مجلة الهلال: 51

المجلس العدلي الاستثنائي: 10

المجلس النيابي السوري: 26، 51، 61-63، 65، 92، 115

المجمع العلمي العربي في دمشق: 51

المحاسني، فؤاد: 114

محمد علي، إبراهيم: 89

محمد علي، أحمد: 89

محمد، نديم: 46، 48، 103

محيي الدين، محيي الدين: 53

محيي الدين، وجيه: 52-53

مخلوف، جميل: 67-68

مرجان، بدر: 76-79، 81

المرشد، أمير: 114

المرشد، ساجي سلمان: 10

المرشد، سلمان: 7، 9، 24، 62، 85، 87-92، 94-97، 102-106، 110-111، 113-114، 119-120
المرشد، سميع: 114
المرشد، فاتح: 92-93، 96، 110، 117، 120
المرشد، مجيب سلمان: 9-10
المرشد، نور الدين: 114
المرشد، نور المضيء: 10
مرهج، محيي الدين: 103
مريمين (قرية): 9، 98-100، 106
المزة: 95
المزارات: 40
المساواة في المواطنة: 63
مسبوت، عبد الرحمن: 76
المسيحيون: 17، 25، 27، 29، 31، 52، 65-66، 69
المشتى (قضاء صافيتا): 32
مصياف: 15، 57، 100
المعرفة الجديدة لله: 10
مكانس، طاهر: 117
المهالبة (عشيرة): 26-27، 89، 102
المهدي المنتظر: 7-8
مؤتمر طرطوس (1939): 65
مؤسسة الريجي: 66-67، 74-75
مينة، حنا: 72-76

-ن-

ناجي، زهير: 60
النازية: 70
النجف: 51
النصارى انظر المسيحيون
نصور، بهجت حسن: 68
نعمة، دانيال: 32، 61، 78
نعيسة، عز الدين: 76
النميلاتية (عشيرة): 23، 51
النهضة العربية: 63

النواصرة (عشيرة): 30

-هـ-

هارون، عبد الواحد: 92

هارون، علي: 55

الهجرة: 31-32، 50

هلال، جميل: 117

هلال علي: 66

الهنادي (قرية): 112

الهواش، عزيز: 62

-و-

الوحدة السورية: 50، 62-65

الوحدة العربية: 57

ولاية بيروت: 15، 63

ولاية حلب: 15، 63

ولاية دمشق: 15، 63

-ي-

ياسين، بو علي: 25، 33

يزبك، يوسف إبراهيم: 46-48

اليمن: 17

اليونس، عبد اللطيف: 36، 49، 51، 54، 57-59، 95، 102-104، 119

هذا الكتاب

ظهرت الحركة المرشدية في عام 1923 كمحاولة لتوحيد العشائر الغسانية في الجبل العلوي في كتلة واحدة. ثم تطورت لتصبح حركة إصلاحية دينية، وحركة اجتماعية فلاحية هدفها استعادة الحقوق المهدورة للفلاحين في منطقة اللاذقية وجوارها، وحركة وطنية ضد الاحتلال الفرنسي لسورية. والمرشدية طريقة مسلكية في الإيمان تقوم على تنزيه الله، وهي، علاوة على ذلك، منهج خلقي لمعرفة الحياة والتعامل مع الآخر. والمعروف أن أتباع هذه الحركة التي أطلقها سلمان المرشد، ونظم عقائدها ابنه مجيب المرشد، انتشروا في قرى اللاذقية والغاب وحمص ومصياف وفي قريتين في الجولان هما الغجر وزعورة. وارتابت سلطات الاحتلال الفرنسي بهذه الحركة، فطاردت سلمان المرشد وسجنته وعذبته، ثم أعدم انتقامًا في أوائل عهد الاستقلال، وتولى ابنه مجيب إعلان الدعوة الجديدة، فاغتيل ظلمًا في عهد الرئيس شكري القوتلي، وأصبح شقيقه ساجي إمام الدعوة المرشدية بعد مقتل المجيب. وهذا الكتاب محاولة للاقتراب من هذه الجماعة وعقائدها ومصائر دعاتها استنادًا إلى التاريخ الشفوي وإلى روايات كثيرة اختبرها الكاتب عبد الله حنّا بنفسه. والكتاب مساهمة في إعادة اكتشاف الجبل العلوي في سورية في ضوء وقائع التاريخ القريب والمدونات السياسية والمذكرات التي تناولت سورية في عهد الانتداب الفرنسي وفي حقبة الاستقلال، وهو يندرج في نطاق التأريخ لحركات العامة والفلاحين التي كرس عبد الله حنّا شوطًا من حياته للكتابة عنها.

عبد الله حنّا

ولد في بلدة دير عطية سنة 1932، ونال الدكتوراه في التاريخ من جامعة لايبزغ في سنة 1965. عمل في حقل التدريس الثانوي بعدما سدت الجامعات السورية أبوابها في وجهه لميوله اليسارية. تخصص بتاريخ الفلاحين وحركات العمال في سورية. له كثير من المؤلفات منها: **الاتجاهات الفكرية في سورية ولبنان** (1973)، **الحركة العمالية في سورية ولبنان** (1973)، **الحركة المناهضة للفاشية في سورية ولبنان** (1975)، **القضية الزراعية والحركات الفلاحية في سورية ولبنان** (1975)، **مشكلات الانتقال من الرأسمالية** (1981).

المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات
Arab Center for Research & Policy Studies

السعر: 4 دولارات
ISBN 978-614-445-045-1